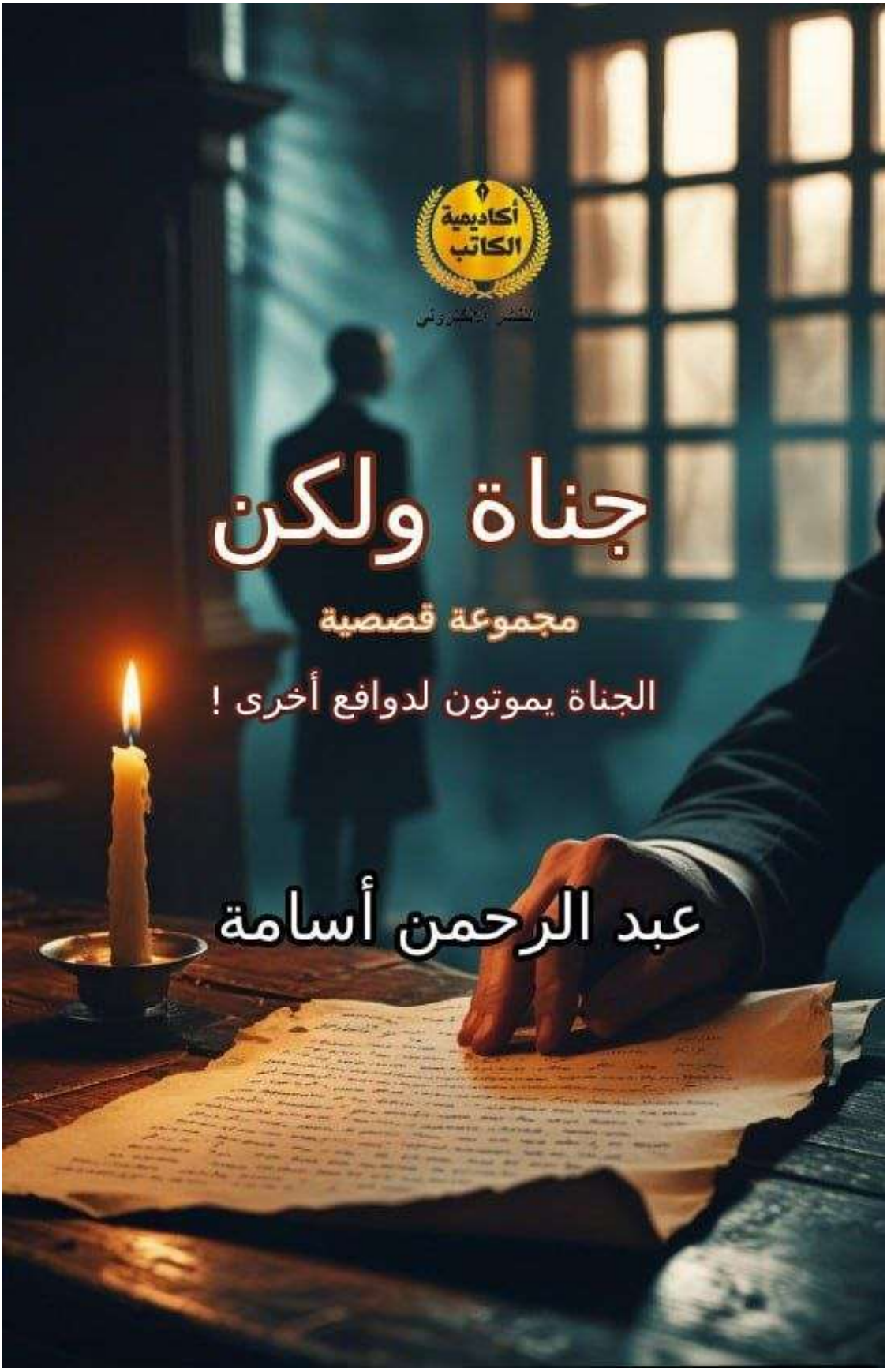
أكاديمية الكاتب
جناة ولكن
مجموعة قصصية
الجناة يموتون لدوافع أخرى !
عبد الرحمن أسامة

جناة ولكن

الجناة يموتون لدوافع أخرى!

مجموعة قصصية

عبد الرحمن أسامة

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: جناة ولكن

المؤلف: عبد الرحمن أسامة

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

تصميم غلاف وتنسيق داخلي: محمود كمال

المقاس١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-15-1-260110

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الموضوع	الصفحة
الاهداء والشكر	٥
ومضى بها العمر	٩
تعارف	٢٢
رابية	٣٠
جناة أنفسهم	٣٦
رجال ونساء	٣٩
ظاهرة المليونير	٤٢
ما بين السطور سر دفين	٤٦
في طي الكتمان	٥٥
سر المنزل رقم ٥٤	٥٨
ممنوع الاقتراب	٦٥
مشفى الطب النفسي	٦٨
نسخة لم يعتاد عليها	٧٣
ضغطة زناد	٧٨

إهداء

في الحقيقة جُلّ المؤلّفين يُهدين أعمالهم إلى أحِبَة لهم. إنما أنا أهدي هذه المجموعة القصصية لأسطورة في نفسي تسكن الخيال تَحسّني دائما على نوازع الخير وشرّها.

أجد بداخل هذه الشخصية كوامن لو لم أنقّب عنها لسقطّ أنا وخرست تلك الأصوات الحيّة التي تنبعث من خلفي

إهداء إلى

ع ..أ ..ن

الجناة يموتون لدوافع أخرى!

المقدمة

في عام ٢٠٢١ قمت بتأليف مجموعة قصصية بعنوان " وحي الخيال " كانت صادرة عن دار نشر مصرية " المؤسسة للنشر والتوزيع "

تهتم بالشأن العام، القضايا الاجتماعية في إطار درامي حيوي منسق؛ بجانب عالم الجريمة القبيح. كنت قد توقفت قرابة الثلاث أعوام وعدت أخطُّ بقلمي رواية « جناة ولكن » ..

تنويه .. « جناة ولكن » من الواقع المستند إلى أحداث حقيقة وبعضها خيالي وأخرى نفسي بحت ذكري ل شخوص أبطالي في الرواية بأسمائهم مستوحاة من الخيال..

يقتلون يموتون لكن لدوافع..

سكبَ حبره على وريقاته، ورمى الكلمات بنظرات متتالية وغرق في عوالم غريبة، مقررًا أن يكتب يومياته! ومازالت تطارده تداهمه!.

عبد الرحمن أسامة

شكر

كل رسالة شكرا تهدى

تعد بصيص للنور.

كل كلمة سكنت روحي، افاقتني وآنسَتني

كل صفعة على وجهي. يقّظتني

كل دمعة مني تقاطرت، كان إحداهما

يترك آثرًا بذاتي ولذاتي! .. كل نصيحة شغّفتني

جعلتني أكتب أتنفس، أكتب لأشعر، أكتب ملء شغفي..

وددت أن أقول كلمة شكر ما وجدت سوى أن أقول شكرا من القلب إلى خطيبتي التي دفعتني بعد ثلاث أعوام إلى كتابة هذه المجموعة القصصية. خيالي وقتها في درجة غليان شديدة، وانصهرت أفكاري الشيقة، فكررت ثم نظمت أن أخطّ

بقلمي مجموعة قصصية « جناة ولكن » حاولت جاهدا عبرَ تلك الرحلة من خلال القصص بشخوصها وأحداثها المختلفة أن أ تناول دوافع الجناة، أكتب شيء جديد يحترم ويقدّر مدى عقلية القارئ الأدبية. كل الشكر إلى شقيقي الذي كان دائما يصعقني، وينهال عليّ كل ما كان يلمحني أكتب، يؤمن بي ولو بذرة الهام تبحر في عقلي، عن أفكاري التي تغلي، وإذ بي أدوّن، كان دوما يقول لي " أكتب "!.

أشكر والدتي كنت أحدثها بوهج أفكاري، كانت ترميني بكلمات، كنت أشعر بتلك الكمات جسر على درب منير، ثم ما البث أن أخطو بقلمي عليه تكون كل الطرق بعد الله سبحانه ميسرة.

وأدعوا الله الجليل أن يُكتب لي فرصة ثانية، أن ينشر لي عملي الثاني ينتشر ويغزوا عقول القراء.

ومضى بها العمر

زواج عن طريق صدفة

١

لم تكن مثلها مثل النساء اللائي يشكَيَنَّ دائما من قصاصات الحب علاقات المتزوجين التي غالبا ما تبقى لعام وعامين سرعان ما ينقضي كل شيء لترضى بقضاء ربها. المرء يبقى لأعوام عدة، يفكر كيف يخرج من علاقة أدّخرَ فيها جُلّ مشاعره؟! وعواطفه موثّقًا داخلها كل ذرة من الحب؛ عن جزء في خلايا روحيهما. يبقى سؤال مهمًا كيف سيتعافى إحداهما؟!...

في إحياء شوارع القاهرة بحي من الطراز الشعبي؛ سارت حائرة بفكر مشوّش مضطرب هاربة من كبوة عائلتها اللذان قد حصراها بمأزق.

يعنتنها يريدانها تتزوج، لمجرد طلاقهم الأمر. انقضت إرادتها نحو الحب مضى بها قطار العمر بعد أن صارت في السابعة والثلاثون من عمرها؛

مازال هناك نافذة يعبر من داخلها الأمل. ما زلت أؤمن أن يصبح الشيء في زهوته يحمل لنا حكايات تغمرنا ونرسم ما بعقولنا ونسير على تلك الوتيرة، وتارةً تنعكس مرآته وتتغير ويتأخر قبل وبعد الرغبة حالة من انطفاء، ويتأثر بعد أن يفنى ذات الشعور الذي بدا صلبا!.

لازلت أوقن أيضا أنَّ لا شيء في هذا الكون يتم من العبث، لم يكن لقاء أعدَّ ميعاده القدر بل كان من ترتيب الخالق العظيم.

كان يجوب من الشرق إلى الغرب القاهرة في رحلة شاقة.

« عـــامر منيـــر» ذا الثمانيـــة وعشـــرون عامًـــا ضـــابط البحريـــة ببذلتـــه البحريـــة ونظارتـــه الســـوداء التـــي انبثقـــت منهـــا أعينـــه ذات اللـــون العســـلي، الشارب الكث الوجه الأبيض المشع.

كانـــت « عـــلا رشـــوان » نحيلـــة الجســـد، ذات الصـــبغة القمحيـــة، الشـــعر النـــاعم المســـتقيم تتـــدلى خصـــلاته مـــن طرحتهـــا ، ذات أنـــف صـــغير معتدل يبز رونق وجهها.

ليســـت كغيـــر جيلهـــا، الفتيـــات اللائـــي يطلـــين وجههـــم بالبويـــا، أحمـــر الشـــفاه الذي يجعلك تلعن فكرة انجذابك للفتيات!

فـــي أحيـــاء القـــاهرة الشـــعبية مـــن الطـــراز الـــذي يجعلـــك كـــل يـــوم تفكـــر فـــي الانتحـــار، أصـــوات الباعـــة المتجـــولين بأصـــواتهم العاليـــة الصـــاخبة، أصـــوات رجـــال روبـــا بكيـــا، الـــذين يـــأتون مـــن وادٍ بعيـــد يجـــرون عربـــاتهم بأحصـــنتهم. النســـاء الثرثـــارات اللائـــي يجلســـن دائمـــا علـــى عتبـــات البيـــوت بالســـاعات، مثـــل الغابـــات التـــي يعـــيش فيهـــا القـــردة، يثرثـــرن يـــنقحن مواضـــيع هـــذا وهـــذه، يصـــوّرون المـــارين ككـــاميرات المراقبـــة؛ كانـــت تســـير، ويســـير قبالـــة وقـــع أقـــدامها، ارتطمـــت بـــه كتفـــا بكتـــف عـــن دون قصد. وقعت قبعته ثم رفع وجهه ببطء فقالت.:

_ آسفة عن الذي قد حدث!

فقبل اعتذارها سائلا:

_ أبدًا لا يهم، هل أنتِ من هذا الحي

ثم قالت مطمئنة

_ شكرا، نعم بالفعل

فارتسمت ابتسامة أشرقت بين ثغريه

_ سعدت بمعرفتك يا آنسة!.

فقالت بسرعة دون أن تأخذ وقع كلماتها مجراها:

_علا رشوان.

كان بيتها الصغير يبعد عدة أمتار عن الشارع الذي قد تسمّرا فيه؛ فعاد إحداهما إلى محطة حياته، حيث كلاهما يفكر كيف رُتّبت تلك الصدفة؟.

داخل كل منهم يحمل بآفاته الكثير، صارت تهمس بين ذاتها تقول " هل هذا الرجل الذي ما زلت أحلم به؟ " بعد هذه الأعوام التي صارت تجري كالقطار؟!. هي كانت في أوج عمرها.

وأصبحت الآن في منتصف عمرها... لآن هناك أحداث كثيرة تغيرت مثلما تتغير تقاسيم الوجه، عام تلو عام كبرت ثم كبرت .

شاء يعتصر قلبه الذي دق كعقرب الساعة، أي ذا وقت الذي سيخطو قدمه موطن قلبها؟ ففكر جاهدا كيف ستوليه الحياة حتى لو لقاءٍ آخر وكيف؟

عاشت علا التي قد بلَغَ نصاب عمرها الأربعين الآن، وسط عائلة تفتعل ضجيج وثورة مطلقة ناجمة بوابل من الاسئلة - لابد أن تتزوج ابنتنا. يريدون ان يتحكمون بها كما يريدونها أن تكون راضيه بحياتها ومقتنعة.

ستتزوجين!

ستفعلين ما نريده منكِ!

إن فعلتي ما تفكرين به سنقتلك!.

رشوان أبيها رجل أشيب، نال منه الهرم أقصاه؛ كان عاقلا مكافحًا مثابرا في ريعان شبابه، أصبح كالحًا في كبره، أجش الصوت التي قد غزاه رائحة النرجيلة العطن، انتابه مرض حدث له تهيج في الاحبال الصوتية أصبح صوته مزعج يملأ جدران البيت صخبا. يحدث أن ينهال على بنيته التي قد فاضت روحها منه بسبب تصرفاته معها، أشقائها دائما في صفوف أبيهم.

لكن ما العلة دائما في ذلك الأخوة فقط يريدون مصلحتهم ما أن يخطو كل منهما في سُبُل حياته وسعادته، لماذا تلك الانانية؟ أنها شقيقتهم التي لها حق مثلهم.

تاهت في دربها ومال تفكيرها الايجابي ليصبح سلبيا مطلقا.

كانت تجد فيهم المتكأ عليهم، كانت تظن هم الملاذ.

فمن إذن الذي سينفض تلك الغبار من عليها غبار حماقاتهم وافعالهم وغباءهم

ومن إذن سيزيل تلك الغشاوة التي كانوا سببها من على أعينها التي مادامت تبصر في شراع حياتها.

في مقهى الشوق بالمعادي جلس يتفحص المارة ذهابا وإيابا خلسة، دون أن يتطرق إليه أحد علمه يجدها بين المارين العائدين؛ لاحظ القهوجي جلسته مباشرة دنا منه قائلا:

_ أنرت ي أستاذ ألم يعجبك المكان؟ الطاولات في خدمة سيادتك، لكن اسمح لي منذ دقائق وانت تختلس النظر في المارة، ما الحكاية؟.

فوضع ساق على ساق وحدق في القهوجي قائلا:

_ أجلب لي فنجان قهوة سادة، لا تثرثر كثيرا معك ضابط بحرية أسرع!

فأخرج محفظته من جيبه و بطاقته التي تثبت ما أن ملأ بها القهوجي عينه وانذعر، هرول يعد القهوة.

كانت القهوة تتحمص على نارٍ هادئة، وقلبه الذي بدا ينبض سريعا، مما جعل رائحتها تغزو أنفه، لم يحرك ساكن منتظر قدوم الشوق.

طلت بحسنها من أمامه دنا القهوجي بعد ان أندفع من كرسيه، لتعبر داخل خياشيمه رائحة البن التي بدت بنكهة الحب.

شيء ما دفعه بلهفة أسمه « الحب »

فناداها بصوت خافت:

_علا.

عبرت الكلمة إلى مسامعها.

أدارت رأسها ببطء قليلًا خشية من المارة؛ أقترب يسلم بقلبه وألقت أعينه التحية، وصارت لمعة في أعينها. الحب إن حضر لا يعرف ابدًا النزوة فقط، ولا عن تلك الكلمات المعسولة المصطنعة في الحب.

لأن الحب هبة روحانية نورانية من الله سبحانه يبثها في القلوب.

فثبتت نظرها إليه مضطربة قليلا ثم بدت كالملاك أمامه، وآتاها شعور بالخوف وهجها قالت:

_ أرجوك، مجيئك هنا معضلة كبيرة يا ....

ألحق بكلماتها مندفعا:.

_عامر منير

فقالت وهي تتنهد:

_ أرجوك يا أستاذ عامر إن عائلتي لا يعرفن في هذه الأمور تسالما ارحل أرجوك!.

قال ليحسم الجدل حول وجوده:.

_ حسنا يا علا سأضطر أن أعقد نيتي، وأخبر والداي عنكِ.

أشرق وجهها ولمعت عيناها كالفراشات المتطايرة... وأصبح قلبها طيرًا هاجر من سربه.

فقال:

_ أين دياركم؟.

فلوّحت بيدها ثم اختفت في مهب الريح!.

عاد إلى المقهى يتحسس فنجان القهوة التي بردَت رائحته، ثم تخللت الرعشة أناملة قليلًا، لكنه مازال قلبه يحتفظ بشعوره، وقف من مجلسه دس يده في جيبه يحمل بشارة الحب ثمن فنجان القهوة.

غـــادر المكـــان وجوبـــا إلـــى بيتـــه ، عازمـــا أن يُجلِـــس والـــداه المكـــرمين قبالتـــه وصرّحَ إليهن بالزواج. أباه الذي صاح سعيدا:.

زواجك عليّ!.

شرع دون أن يُكمِل أبيه وقع كلماته قائلا:

_ هنـــاك فتـــاة صـــحيح أنهـــا تكبرنـــي ســـنًّا لكـــن مـــا دمـــت أريـــدها، لا يهـــم فـــارق السن الأهم الحب والتفاهم!.

كان يعلم أن سؤال ما سيخترق أذهانهم في ذات الوقت ويغزو عقولهم.

من أين يعرفها؟!

هل تقابلا؟!

في تناغم صوتي ممزوج قال الأب والأم معا:

_ من أين عرفتها؟

أخفى بضامره ما لم يرد قوله

وقال:

_ كنـــت فـــي إحـــدى طـــرق القـــاهرة الشـــعبية رأيتهـــا، وكانـــت رؤيتهـــا لـــي صـــدفة بحتـــة لا أكثـــر لـــم يكـــن بينـــي ولا بينهـــا أي شـــيء، يبـــدو يـــا أبـــي انهـــا من عائلة بسيطة.

فأطلـــب مـــنكم أن تكونـــوا لـــي العـــون بعـــد الله، وأن اتقـــدم إليهـــا واتزوجهـــا فـــي شرع الله.

كـــان شـــابا بـــارًّا بوالديـــه رصـــينا حكيمـــا بتصـــرفاته؛ إن شـــاهداه والـــداه مـــا كـــان يجـــداه يلجـــأ لأحـــد لا يتشـــاور ولا يطلـــب العـــون لا يشـــكو، مـــا كـــان يطلـــب العـــون الا مـــن الله وحـــده، كـــان مجتهـــدا بـــين زمـــلاءه حقـــق مطلـــبهم باجتيازه كلية الشرطة البحرية.

لكـــن مـــن حســـن تمعـــن الوالـــدان الاصـــغاء لابـــنهم البـــار المجتهـــد الحكـــيم فـــي تصرفاته وأن يستمعا إليه.

قال أبيه:

_ لكــن ي عــامر هــل قلبــك الــذي أدلّــك عليهــا؟! هــل هــذه التــي ســتكون شريكة عمرك، مؤنِثة دربك؟

فقال :

_ نعم يا أبي صدقت، رأيتها مرتين على ما أتذكر ، وسألت عن بيتها.

قالت الأم:

_ عظــيم أقتــرح أولاً أن أذهــب قــرب دارهــا بعــد أن تطلعنــي علــى عنــوان بيــتهم، واســل عنهــا ربمــا أجــد مــن ســتكون أهــلًا للحــديث واطلعهــا عــن الموضوع.

فأطلعها عامر عن تفاصيل بيتها بالحي شعبي.

بعــد أن أطلــق أبيــه وأمــه العنــان لــه عــن مــدى رضــا قلبــه، انطلقــت دقــات قلبــه راح خيالــه يغــوص فيهــا؛ بينمــا هــم يجلســن بجانبــه كــل مــنهم يتفكــرن في دنيا الله.

عزمــت أن تــولّي وجههــا شــطر ديارهــا لتســل عنهــا بعــد أن وصــلت فــي عنــاء؛ طلّــت جارتهــا مــن بيتهــا تحمــل المكنســة المهترئــة اقتربــت منهــا وقالت:.

_ السلام عليكم

ردّت.

_ السلام والرحمة.

فطنت المرأة من مجيئها الحي أنها تسل عن أحد ما وقالت:

_ عن من تسألين؟

قالت.

_ علا رشوان.

ثم سكتت برهة وانكرت واتّبَعت عدم تفصحها عن الخوض في الموضوع، ثم اختلقت حجة بأن تقول من أقاربهم كانت مسافرة ولم تأتي إلى هنا من عامين وجاءت لزيارتهم.

قالت الاخرى بعدم تبين:

_ البيت الثاني أمامك.

توارت قليلا عنها وتبيّنت كونها من النساء الثرثارات التي تتسكع في المنازل تفشي سرائر الناس بين بعضهم.

فكرت ثم قررت أن تغادر الحي إلى بيتها حتى تسل عن الفتاة مرة أخرى.

عادت إلى البيت بتؤدة مع ذاتها كان قد تبين أنه فهم بعض الاشياء التي لم تقال و أن لا جدوى من ذهابها .

قال:.

_ أخبريني ي أمي ما الذي دار؟.

قالت الأم:

_ حمدا لله أنني عدت يا عامر، لم يَكُن بإمكاني أن أُدخِل بيت المستورة أي امرأة كوصل بيننا، من الصحيح أن أوكِّل جارة من جيرانهم تكون ذي ثقة، الأمر ليس بتلك السهولة. لهذا قد تمعن عامر لما قالته له أمه. جلست والخوف بعينيها وبضامرها تفكر وتحلل عقلها شارد يغلي متى سيأتي؟! تردد، تُحلل، تُفسّر. هل كانت مجرد عواطف بيننا اقتادتها مشاعرنا فقط؟!. ربما ستأخذ بالأسباب وكفى . شرعت والدته بالذهاب إلى بيتها وخرجت وكانت تُلكّم نفسها بالحذر والتوخي ألاَّ تقع في فخ هؤلاء النسوة.

عندما تدخل الاحياء الشعبية ذات الطبقة المتوسطة لا تجعل الغرابة الشديدة تنتابك عن تلك السيناريو المتكرر كل يوم، لا جديد يذكر النساء تترصصن على المصاطب معهم تتراصف حكاياتهم التي يختلقونها بمخيلاتهم المريضة.

الشارع بعد صلاة العصر تملأه صخب و ضجيج أصوات الصغار احتقن وجهها عن المشهد التي رأته، فسخّر الله لها امرأة، وجهها بشوش يحمل إمارات الثقة فأدركت.

رحبت بابتسامة حقيقية عن وجهها البشوش؛ بينما كانت تولّي وجهها سريعا خلسة من النساء اللائي يملأن عتبات البيوت.

قالت:.

_ السلام عليكم كيف حالك؟.

قالت بابتسامة.

_ وعليكم السلام، تفضلي.

_لقد شعرت بارتياح عندما رأيتك، وأريد أن أطلعكِ على أمر ما، لكن يكون الامر بيننا في سرية تامة رجاءً!

قالت:

_ تفضلي يا أختي أنا في مساعدتك.

_ أنا أعرف فتاة وأنها في هذا الحي، قد أخبرني ابني العزيز عنها، وهي تسمى

" علا رشوان " ونحن نريد أن تتقدمي إلى بيتهم بالنيابة عني وعن ابني نريد أن نعقد عقد زواج، وآتينا من الديار كما آمرنا ربنا.

قالت في سرور غمر وجهها واتسعت حدقة عينها:

_ بسم الله ما شاء الله ... يا زين الزين ... يا زين.

فأدلت إليها أن ابنها ضابط بحرية وأنهم في سمعة مرموقة، الحمد لله هم يعيشون قدر المستطاع وأن ابنهم العزيز في استعداد للمجيء بالزواج منها، وأن لا متسع للتأخر.

لكن سؤل ما انبعث في خاطر الجارة قالت مندفعة:

_ تسمحي لي، ما الذي جعله يتأخر هكذا؟!

قالت:

_ النصيب!.

تمتمت وهزّت رأسها كأنَّ لا ينبغي عليها أن تسل تلك السؤال، قالت:

_ أبشري بالذي يسر خاطرك وخاطر ابنك العزيز.

عادت إلى ديارها تطمئن عامر؛ كان في حاجة ماسَّة إلى بضع كلمات تسرُ خواطره؛ جالسا في مكتبه منكبًّا على كتاب يقرأه، دخلت أمه ألقى الكتاب من راحتيه، باستماعه صوت الباب الذي أوصدته، راحت تطمئن قلبه، وروت مقابلتها بالجارة - وأدليت بالقبول - و بعد أربع أيام سوف تذهب مرة أخرى تتلقى خبر عقد زواج.

كان عامر يظن أنها ستكون في بادئ الأمر خطبة - لهفته وحبه جعلته لم يدرك أن هناك فارق سن؛ وأن لا مُتّسع للعمر الذي يسير في تياره، وافق دون أن يسترق النظر، لم يُعِلِّل كيف ولماذا؟. ولّت الجارة وجهها نحو ديار الفتاة، أخبرت والداها أن هناك عائلة قامت بالسؤال عن كريمتهم ، وابنهم يريد الزواج منها، وأخبرتهم بأنه ضابط في البحرية؛ فوافقا وكانا على استعداد للمقابلة.

خرجت الجارة من ديارهم، وشاءت تعد على أناملها الوقت الذي سيجيئون فيه - وكان كل شيء يسير وفقًا للعرف.

خرج برفقة والداه إلى الحي الشعبي، توارى قليلا قرب الديار المتشققة جدرانه الخارجية. تنحى بنظره في استحياء، عندما لحظت الجارة من خلف نافذة بيتها الصغير قدومهم أدلفت من بابها ابتسمت ثم قالت:

_ هلّت البشاير علينا!.

فرفعت من وجهها قليلا وقالت:

_ كيف حالك؟ أخبريني عن البشاير؟.

قالت وقد اتسعت حدقة العين ورفعت حاجبيها عن ابتسامة منفرجة :

_ العائلة وافقت هم ينتظرونكم.

أعربت لها بامتنانها بوافر من الشكر.

سارت العائلة في خطاها نحو البيت آخذت تفسح لهم الطريق عندما صاحت في أهل الديار لبّت العائلة النداء.

في بيت من الطراز المتوسط المطلي بالأبيض السادة يُقطّن رجل مثل رشوان كان في صباه كادحًا - لكن أين الأراضي والأموال والصحة التي كانت تهد جبال؟.

في صحن الدار على الكنبة الموازية للباب جلس بجلبابه البلدي الابيض الناصع الذي يبرز سديري والعمامة وقف يهندم جلبابه ملوّحا بيده التي قد تلى عليها القصاص، حمل الأبريق من الصينية مشيرًا بالسبابة إليها تعبُّ الاكواب نصفها الشاي؛ بينما كانت تقوم بواجب الضيوف التقط الماسك يدفن قطعة الفحم في مسقط حجر المعسل بغلظة، رنت زوجته ببطء تجلس بجانبه جحظ بعينيه

قائلا:

_ الواضح أنك ابن عائلة محترمة، رجاء حدثني عنك أكثر؟

فتحدث ولغة جسده ثابته في موضعها:

_ عامر منير ضابط بحرية من الزمالك وكما أمرنا ربنا حدّثتُ والدتي عن كريمتكم. قال مندفعا وهوا يضرب على فخذيه.

_ من أين عرفت البيت؟ هل تحدثت معها من قبل؟.

كاد والداه أن ينفجرا فتماسكَ قليلا دون اللحظ بهم، عن طريقته البلدي المشمئزة. قال الوالد وهو في ثقة:

_ يا أستاذ....

فلحقه وهوا يقهقه قليلا

_ رشوان

قال وهوا يثبت عينيه.

_ - نحن جئنا على سمعة ابنتكم، وابننا لا يعرف عنها شيء، سمع عنها وأخبرنا.

مرة أخرى وهوا يلوح قطعة الفحم فأصدر نفث تبعه صوت الكركرة مع ابتسامة امتزجت بالخبث قال:

_ كم تتقاضى ي عامر بيه؟.

ابتسم ابتسامة مزيفة و قال وهو حرج.

_ الحمد لله اتقاضى قدر ما أستطع أن افتح بيت وأعدك أن ابنتك ستكون هانئة ستعيش معي سعيدة، وسنبقى سعيدين مع بعضنا.

سكت ثم فطن أنه يريد حفنة من المال يسد بها فاهه الذي بدا كالجحش المتعطش للمادة، فوقفا إحداهما، وانتحى به عامر قبل أن يتفوه دس في جيبه مبلغ كبير من النقود، اقترنت خشونة صوته ببسمة خبيثة من بين ثغريه وقال:

_ لم اكن قاصدً!!!.

فألقَ بجملته كاشفا عن خبثه:

_ لا لا لا إطلاقا هذه محبة، هل سأسمع كلمة مبارك علينا ترنّ في آذناي؟!

استدار قبالتهم قال بصوت عالي:

_ مبارك علينا وعليكم لنسمع الزغاريد!!.

كانت علا مُتسمّرة بالمطبخ تتنصت وتتعقب بأذنيها حول حديثهم، سمعت دوي الزغاريد المرتفع. عزم والدها ان يتم الزواج ليلة الأربع؛ اختتم عامر لجلسة ونوّه أن لديه شقة في الزمالك، افترشت جميعها من أثاث وكل شيء.

الحقيقة دائما شديدة الأبعاد المفتقر أن يكون شخصين متحابين كل الحب إلى غاية تجعلهم يرسمون أحلاما في مخيلتهم عن مثلا - اسم أول مولود لهم ماذا يسمونه ينغلب عليهم الآمر – ليقترحا بعد عناء أن يسمى على اسم أباه . مثال .... بأن تقول له أظل معك طيلة العمر!. لكن ترسم أيضا في مخيلتها أوهام تنسجها؛ تقول سوف أكذب عليك كذبة ما وأصدقها.

دوما تجد الفتيات والنساء الصادقات قلوبهن دائما في حالة تتعثر عليهم فيما أن تحظى بعلاقة لا تخلو من عبارة " لم يكن حظ يليق بنا " عزيزتي التعيسة؛ حظ أوفر مع زوج سعيد يحفظ بقاء علاقتكم؛ وإن تكن هذه العلاقة سالمة فإنها مع الوقت سيفنى اهتمامها.

إنَّ كلاهما يبحث عن جزء؛ إنّها من مجرد مشاعر يقتادها يرتادها قلوبهن، فيما أن تزول وتندثر ... ربما تجف المشاعر وتبلد. هم كانوا متحابين أصبحن متباعدين أشد البعد نادمين يفكر كلاهما بذاته - ولكن أين الوعود؟! واين العهود؟!.

تزوجا وكل شيء كان جميل، لم يكن حبه لها طفيف كانت تحبه من أعماق قلبها، قدمت كل شيء في سبُل سعادته، لم تسود الانانية والهمجية علاقتهم.

إنني دومًا أردد مقولة على لساني

« الحب احترام قبل أن يكون عاطفة!! ».

كلمة الطلاق ما تبدو أن تكون شيء من الثقل لا تتقبلها المرأة، خاصة لو كانت من امرأة أحبت بصدق فانجرحت!.

* * * *

تعارف

٢

كان التاجر عمران في عمر الخامسة والثلاثون عن عائلة بسيطة في مطروح، ذات البنية والقامة المعتدلة نحيفا، وجهه عريض منخاريه مستطيلان، و شعره ذا الصبغة السوداء. شقيق لثلاث نساء متزوجات يملكن أولاد بعمر الورود.

عُرِف بالشهامة وصفات الرجل الشرقي بينه وبين أهل الحي؛ تاجر مثابر مكافح مجتهد راح يتأرجح بين المتاجر يتسوق البضاعة الجمّة، وأمر أجيره أن يحملها في تاكسي، وكدّسها في متجره كما أمره أن يدرجها في الرفوف الخشبية المطلية.

أنا أعرف وأستشعر الأمراض لأنني إنسان وأحسّ مثل الاخرين؛ عندما يؤلِمُكَ ضرسك تئن تجد صعوبة كبيرة شديدة تتألم. ستضطر رغما عنك أن تذهب لمساعد طبيب أحمق - فلسوف يصف لك شريط من العقار مع زجاجة ممتلئة للسعال.

في هذا التوقيت الموت أشرف لك!.

كان ضرسه يؤلمه كاد أن يُقتلع قلبه من الصمام الداخلي، لعدة أيام هوا لم يقدر على تناول الطعام أشتد عليه المرض. تذكر عيادة طبيب بحي المعادي قد تخيلت هنا أن الطبيب أيضا يكتسب مهارة ثانية، مهارة كيف أبعث الارتياح في المرضى، الأسلوب اللين و الابتسامة.... تحل عُقدًا كثيرة.

في العيادة الطبية ركام من المرضى إن تفحصتهم بقلبك ستحمد الله أنك لا تزور العيادات كثيرًا. دخل إلى العيادة واضعا يده يتحسس فكه الذي بدا الاحمرار عليه، توجه نحو موظفة الاستقبال.

غالبا ما يتميزن بحسن الاستقبال، تستوقفك نظرة بخصلة متدلية من كساء الرأس، غالبا يبتسمن، غالبا وجوههم متحجرة، أصواتهم بين غلظة ورقة.

دفع الرسوم ثم رنا إلى كرسي الانتظار وجلس شاردًا يحترق بصحبة أفكاره التائهة.

القدر والظروف الطارقة دوما لا تضع مواعيد المرض، الذكريات، والنسيان، الآلام، بينهم علاقات وطيدة، تصنع من المرء شيئا صلبا، ربما ذلك لو قدر! وإن عجز!.

بمحض الصدفة كانت على كرسيها في صالة الانتظار قبالته اختلس نظرة ثم نحاها على استحياء، رفع مرة أخرى يده يتحسس فكّه من الألم- إنَّ كلاهما يئن!

كل شيء يمكن أن يتداوى مع الوقت إلا ذلك الحب الذي أخذ يسير في تياره سريعًا، حاملا في جعبته لماذا... لماذا ... لماذا.

رفع وجهه ببطء أمام وجهها الذي بدا عبوسا مثل زجاج شُرخَ نصفه. ربما إن كسِر قواعد الخجل سيرحم ذاته ، وربما لا داعي للفصح والبوح إنّها الآن مجروحة لن يكن لها مسكن ولا دواء ولا إنّه الروح التي ستخرجها من خوفها وعتمتها، ولا التوتر؛ شيء ما يلاحقها، ولن يكن بوسعه أن يصبح ملجأ لها من المتاهات!.

ربما كان معجب فقط شديد الإعجاب مفتون بها، ظل يشكو من الجوي. كان سيشرع في الحديث معها دون أن تلحظ، لكن صوت مكبّر الصالة كان كفيلًا أن يهيج وجع ضرسه الذي تسرّع آلمه واشتد واقترن مع نغمات دقات الفؤاد.

دخلت إلى العيادة ظلّ منتظرا تأخّرت داخل الغرفة أخرج سبحته التي حرّك حبيباتها ودعا أن تكون من نصيبه.

فخرجت تمسك بقطنة صغيرة تكتم بها قليل من الدماء المتناثرة في خضمها؛ قليل من الانتظار وسوف يدخل مباشرة إلى الطبيب. عندما

خرجت اندفع هوا الآخر، حاول أن يهدّئ من توتره صارحها مباشرة رغم شعور اعتراه كبّله.

_ تسمحي لي!!!

فاندفعت وقالت في حزم وانضباط:

_ عفوا ماذا تريد أنت؟.

فقال وهوا يصرّح:

_ معجب!.

قالت بصوت خافت تأثر به الغضب

_ أنت قليل الاحترام أغرب عن وجهي الآن!.

لوّح بيديه وانتابته قشعريرة شديدة ، وامتقع وجهه:

_ صدقيني أنا أصرح لك، هل يبدو من العيب أن يصرّح الانسان بحبه؟.

تركته واقفا عقله يهمس ويثرثر فجلس من جديد يفكر ووضع يده كالخائب على جبينه. لقد حان وقت دخوله عيادة الطبيب؛ اقتلع له ضرسه الذي كان عبءً شديدًا. سيأكل مثلما كان، سيتجرع المياه مثل قبل، مثل قبل لن يئن، لكن هذا الآن متورط حيث سينفجر وعقله يفكر، عواطفه المتوهجة كالنيران لا تخمد ، يحلل ثم يتخيل ثم وكأنها معه، أنه في بادئ الأمر إعجاب لكن سرعان ما ينخدع القلب ويصارع الإنسان!.

الذي يدهشني وأيضا يداهمني من أفكار بعقلي أن يغلق المرء قلبه يبقَى معه الحق أن ينعت ذاته ... أنا لن أحب.. أنا لن أفكر في أن أعذِّب قلبي؛ ويعود هامسًا بذاته يا ترى من سيعبر حياتي مرة أخرى يتراقص عليها ويعزيني فيها؟.

كان مُصرّ بأن إحساسه يؤكد كل يوم خيبة جديدة.

أن توصد باب قلبك فمن حقك عليك، لكن ليسَ من حقك أن يعبث فكرك بذاتك عن هراء باسم الوهم. ربما كانت تفكر كذلك ... من أين أجده؟ من أين يأتي بحصانه الأبيض يحملني عليه من يومي الأسود.

يوصدان قلبهما لمجرد أن يلتهمهما الخوف لمجرد ألاّ يشعران، لمجر يخافان أن يخطئان!.

أنظر حولك حول منصات التواصل الاجتماعي. كنت أخر مرة أقلب في الهاتف، اسمع عن امرأة تستعرض ذاتها، لكن بشيء من الغموض تسل عقلك كل دقيقة، يتحدثن بأدب واحترام وحياتهم مشاع للناس، وأسل « لماذا يتصدر أصواتهم أذهان الأخرين ألليس جنون؟! » .... صوتها مثلا الهادئ الذي يكن نوعا ما يتحلى بصرامة، يعرف الصوت حدوده من أين يبدأ وينتهي ويضع الحدود، ومن أين ينتهي، لكن هذا أصبح من العبث!.

أول مرة عرفت فيها منصات التواصل الاجتماعي، كان بدافع الفضول حول حشد من الناس في العالم، كررت أن انسحب وأحاول أن أطّلع إلى عقلي بهدوء ورتابة قليلا وأن أكف عن ما أستمع إليه.

غالبا يهربون من ذواتهم يجوبون المنصات الاجتماعية، أحدهم بدافع التعرف على بنت جميلة. ما الذي جعلك تستنبط أنها جميلة؟. بمجرد أن تضع صورة شيقة فهوا قد خمن كما خمن أيضا عمرها، إن أحظى بمكالمة صوتية منها، ستهدأ داخله حروب كثيرة عن كذا وكذا، أحدهم يهرب إلى تلك المنصات يكون حسُن التمعن كما يكن لبق ويصوغ كلامه يتحلى وينصاغ بالمبادئ أحدهم أيضا أحمق، يفكر أن هذا العالم؛ عالم أحمق منفتح للخوض إلى ذكريات أيام طفولته وأيام حياته ويسرد بطولاته، وأحدهم قد تراه في سكون يتابع بصمت، وأخيرا هناك تيمة معروفة عن كيف ستجد زوج عبر تلك المنصات؟!.

انكب على الهاتف المحمول بين ضجيج الناس الصادر عاليًا قُبيل متجره بذروة فراغ ناجمة تعتريه يتفحص تطبيق بمنصات التواصل الاجتماعي.

انبعث ذاك الصوت الرخيم الهادئ الملائكي، كان صعقة من النوع الجدير أن يجعله يصحو من حزنه تبيّن أن هذا صوتها، ظلَّ يُفكّر يردد هامسًا: ما الذي ساقني إلى هنا؟! - ومن معها هنا؟.

كاد أن يجن فسمح لعقله أن يتخيلها معه على كرسي بجانبه، اكتفى بأن اغرورقت عيناه شيء ما كاد يدفعه للانتحار... بمجرد أن حاول يتطاول عليها كبرياؤها كانت بين الحين والاخر تفكر أقرر أم لا؟!.

بعثت له رسالة مدوّنة حتى يفضض الرسالة ويقرأها رسالة من نوع خاص انتظرت حتى يتفحصها ويدلي برد.

الغريب أن يكون طرف خفي أيضا يختفي من على المنصة لقد لحظ لثواني قليلة، لكنه لم يكن بدهاء حتى يَفُقُ عقله فاطنًا على أن يحلل ما يجري يقتله الغموض - لكن الذي يعرفه الآن أن هناك رسالة.

مسك الهاتف عن وميض إشعار رسالة.

والنص كالآتي:

« صحيح أنني عندما قابلتك كنت متحجرة معك كنت أصدّك، لكنني مرّ بي جراح وعثرات ماضي، ولم أمرق منه إلاَّ بصعوبة شديدة، حملت معي جرحي لا تندهش من سرعة كتابتي للرسالة، لكن هل ستكن قادرًا على ألاَّ تتسبّب لي في جرح مرة أخرى؟ هل ستكن قدر المسؤولية؟ هل ستجعلني أندم أو أندم لأني سأسمح لك تبحر في قلبي، أكرر مرة ثانية هل ستجعلني أندم؟! ».

كانت الرسالة مؤلمة لكنه كان يبكي مثل الصغار كالهم المسترسل على الصدر لا شيء محال لكن الظروف كسرت مأواه.

آتت له مكالمة وانبعث الصوت المحزن: البقاء لله! الله رأف به ورحمه من مرضه!.

إنّهم عائلة متكاتفة متماسكة يتشبثون ببعضهم كأهل ديرة كاملة.

كيف له أن يتجرّأ على والداه بالخوض عن هذا الموضوع أُيترك مراسيم العزاء و يستحكم والداه في ظروف محزنة مثل تلك الظروف؟! بعث لها رسالة شاكيا لها بالأوضاع عن فقيده عمه و عن ظروفه، عن شخصه عن كونه وذاته؟ بحديث كبير درجَ فيه كل شيء باختصار موجز

لكنها رفضت كل ما قاله وكسرت خاطره كسرت قلبه، ولأن لا متسع لا مزيد الخذلان.

* * * *

٣

ظهر في ظروف غير ملائمة عالمًا بها، عالما بما تكنّه في صدرها رغم الاضطرار رغم الظروف، رغم الحالة القهرية رغم كل شيء عن سؤال يحمل في عاتقها كيف أن مسكينة مثلي تعيش مع هؤلاء؟ كانت تردد تقول هل هم " عائلتي ومتكأي ؟" .

أعجب بها أيضا أحبها بشدة، كما تأكل النيران بعضها، عندما تكون في استعداد للمغامرة وأنك ستغامر وتبحر من أجل شيء هذا جيد، لكن ستظل أحمق إن كنت تعتقد أن تملك صفة المراوغة في العموم. في العلاقات الانسانية غريب نوعا ما أن من لا يثق في ذاته يخفي ما بضامره عن الكثير.

بدأ في أن يشرح لها لأي مدى هوا سبع رجال في بعض رجل سيعجبها وستحبه، ورجل سيلبي لها متطلباتها، ورجل سيكن فارس لها وقت ما تحلم ويعولها، ورجل سيروي لها بطولاته الشيقة في كيف أخدع امرأة! ورجل سيعلمها درس قاسي، وربما آخر سيكن سيحمل عنها عناءها وحزنها ويرأف بها؛ إن كلاهما أقرب إلى بعضهم عند الصدمات!..

« وفيق »

يعمل في بورسعيد يمتلك سيارة ذات صندوق يعبأ داخل الصندوق الاسماك الطازجة يجوب بها من وقت لأخر الميناء يعود من الميناء يسترزق.

متزوج ولديه ابن في نهاية المرحلة الابتدائية وفتاة في عمر الرابعة والعشرين. انطرق إلي علا وداهم حياتها في تلك الظروف المسكينة جرى بها القطار وهيا لم ترزق بمولود تزوجها لكن لم يجسر في أن

يعتــرف لهــا بمــا يضــمره. مــا الــذي يُخبئــه ويواريــه عنهــا؟! ... لكــن الأحــداث تتســارع وتتصــارع ..؟ دنــا الــى بــاب بيتهــا إنهــا بدايــة مشــوّقة لكــل شــيء جميــل؛ لكــن لــن يجــرؤ فــي أن يقــول ولــو بشــكل صــادق أنــه يملــك مبلــغ مــن النقــود فقــط مــا أن تنتهــي ســوف يعــاني ويبكــي مــن ضــائقة حالــه وأنــه فقــد أصــالته وفقــد وعيــه واحترامــه لذاتــه وتعــاطى الافيــون، لقــد قبلــت به زوج عن اولاده وزوجته وظلت نادمة.

وظللت اتسأل أنا

ما الجدوى أن يتزوج الشقاء من التعاسة؟!....

(القاهرة)

رابية

سرٌّ دفين داخل أعماقها ألزمها على الكتمان جعلها تنظر إليه من منطلقات أخرى، من منظور ثاني، وجدته ما عاد ذلك الأب الحنون، ذلك الأب الذي لا يخشى الأذى على فتاته وحيدته، لم يخشى العواقب التي تسبب فيها لأمها، فكيف أن يحنو على بنيته؟!.

أصبح رجل غريب كل الغرابة يُخرّف لأهل الحارة بأحاديث لا جدوى منها البعض صدّق جنونه أنّ ذلك يشبه أهازيج من تأليفه لحن يسير على أنماطه كل يوم البعض يُحتّم ويؤكّد خرَفه.

يُحرّف أحاديث يسمعها مع ثلاث رجال إحداهن « على الناضر » و « عوضين البقال راعي دكان بقالة» « وبكومة » صبي القهوة في الحارة يروي لهم حكايات مثيرة من طراز كلام لا يتآلف ولا يتواكب مع الواقع أي كلام يهبط على عقله ينثره يبعثه لهم.

كل هذا وهم يستمعون إليه بغرابة إلىَّ « علي الناضر » فاغرا فاهه تتملّكه هيسترية متواصلة لضحك والآخرين مرددين:

_ كفى عم عطوة!.

وعلي طالبًا منه أن يكمل سيرَ حديثه عن كلامه الغريب مشيرًا بإصبعه.

_ أكمل أخبرني أكثر.

في وسط كلماته بدء بكومة بلكنة استهزاء:.

_ عم عطوة اسمح لي اسألك.

عطوة بصوت واهن متقطّع و عيناه المنسدلة تحتاط بها الهالات السوداء.

_ اسأل يا بكومة.

_ أين أنت الآن؟

_ في البيت!.

الجمع انفجرَ بالضحك؛ ارتجف عطوة وقام من المجلس فضّ حديثه شعرَ بإهانة عاد مترنّحا إلى داره.

عوضين دموعه المنهمرة أشرفت أن تنسكب من عينيه عن ما شاهده وقام محتقن الوجه إلى دكانه.

مكثَ عطوة في داره داخل غرفته ابنته في الصالة تشاهد التلفزيون يلفّ سيجارة حشيش حتى صار العبث والجنون يخترقَ عقله يتآكل. مرق الليل وفي الظهيرة على صوت الاذان الجمع البين يصلّون في المسجد وعطوة يبحث عن عوضين منتظر أن يخرج من المسجد.

المؤذن سلِّم وخرجت الناس من المسجد ووجده عوضين واقف على باب الدكان ناظرًا إليه بغضب مقتربا قائلا: « لأي مدى يا عطوة وانت ابنتك تكبر؟ لأي مدى وانت تتعاطى السم أخبرني لأي مدى؟!.»

فقال مندفعا:.

_ أنشغل بذاتك بحالك يا عوضين، ولا شأن لك بحالي دعنا نكن رفقة بدلا من أن تُقدّم لي نصائح!.

_ حسنا لكن أخبرني عن الحكاية لم يكن هذا حالك، لم تكن هذه وتيرة حياتك التي تسير عليها.

نصف ساعة عوضين واقفا يُبحلق فيه محاولاً أن يفهم السر وراء جلسة البارحة

قال له:

_ انت تحب وجع الرأس وأنا رأسي تؤلمني لحالها سأتركك سوف أخطو لعندك وقت ثاني. وقال عوضين وهوا غاضب:.

_ اذهب يبدو أن الخرف تملّكك حتى زوجتك لم تسلم منك قضيت على الباقي من عمرها حسبي الله!.

وصرخ عطوة في وجهه:.

_ لن أسمح لك يا عوضين أصمت.

المرحومة زوجته أم رابية بصوتها الذي يداهمه مهما خطى ركن بالحارة تأتيه بصور متتالية في خياله بنصح متذكّرا صياحها.

«الفتاة يا عطوة ... يا عطوة سوف يفنى عمرها سوف تسأل عنها» لكنه أعميت بصائره وما عادَ يبالي لا يدرك.

ما السر وراءها؟!.

لرابية كانت صديقة من دول الخليج كانت هي ووالدتها تأتي إلى القاهرة بحي الجمالية تعارفا عن طريق صدفة وسردت لها حكاياتها عن أمها وأبيها.

المرأة لم تكن تُصدّق وقع الحكاية التي روتها على لسانها تمتمت « ليس من المعقول أن تظل فتاة بعمرها هكذا، الناس لا تتوقف عن هتك عرض بعضهم أيعقل أن ملاك الرحمة يتعذّب؟ ».

ذكرت لها أكثر عن خطيئة أبيها لها وأنه المتسبب في قتل والدَتها وتعاطيه كانت تشاهده وهوا يفكر أنها لا تراه.

كانت المرأة تغادر الكويت مرة واحدة فقط كل سنة لأجلها، لأجل أن تطمئن على حالتها تُغدِق عليها من الهدايا أجملها من الثياب، وكل شيء- حتى تكون في أبَّهتها وتعطيها مبلغ ضئيل ثم تجلس معها أسبوع في شقة إيجار، وتذهب إليها دون علم والدها فيظل منخرط في تعاطيه.

رغم المدة التي قضتها المرأة ثم انصرفت إلى بلدتها. تحدثت معها تطمئن عليها عبر الهاتف المحمول، تتفاجأ في حزن وآسى موت فقيدتها ابنتها، انفجرت باكية تنهج عن صديقة عمرها التي قد خرجت من الدنيا بها.

مازال عطوة في بقاع عقله ينحدر أكثر يتعاطى في الغرفة بلا حياء، صار يمشي في الحارة يروح ويُجئ؛ رائحة الدخان تفوح من فاهه مستكشفا ذلك عوضين البقال عن فضول سيفتك به « من أين يجلب نقود هذا السم؟! لكن عطوة بدأ يضع الشك باليقين « لا بد من يد شيطان تمتد إليه - ولو كان عن يقين فمن الذي جنَى على هذا الرجل بفعله! ».

غادر من دياره يبحث عنه فوجده أمامه ماثلًا يشهد على رؤاهم وحكياهم عوضين. وجد ذلك فرصة جديرة أن يُفاتحه بزواجه من بنيته ... إن عطوة مسكين فمن الذي يعطيه ثمن المُخدّر؛ وراح بدهاء منه يعطيه سيجارتين ملفوفتين ومبلغ مالي يحتذى به.

وافق دون أن يفكر وعقله يغلي وجسد يتآكل بعضه للمخدر؛ وعوضين شاخصًا ببصره إليهم متمتما في ذاته « منك لله يا علي يا ناضر ضيّعة الراجل اخص عليك يا فاجر! ». وقدم له المباركة والتهاني ومدَّ يده يُشبِّكُها في يديه قائلا

« لازم حتيجي نكتب الكتاب! » .

ومضي من أمامه مثل الحيَّة مسرورًا.

خرج عوضين من الدكان محكم الباب نصفه ودنا قبالته كأنه يريد أن يقذفه بجمرة او بخف ساقه متحدثًا

« اسمع يا رجل أنت يمين بعظيم لو ما فقت من الغيبوبة اللي أنت فيها دي والله لأبلّغ عنك الشرطة يا ندل ... بقى يا راجل بتبيع بنتك عيني عينك كده اخص بجد! ».

استمع إلى تلك الكلمات نزلت على قلبه كالصاعقة كقاذفة، وبالرغم أنه لم يلقي لها بالاً وسار يستهيم بالسيجارة اللّف وأحاديثه عن جنون مستمر، هكذا يقضي حاله كل يوم.

عوضين أعلم الشرطة عنه وكانت الشرطة تداهم الحارة باحثةً عنه؛ بُنيّته التي روّعت وصرخت باكية غادرت البيت مكشوفة الرأس

« يا عالم يا هو أبويا الحاج عطوة في ايد الشرطة ».

هرول من الدكان عوضين يسترها يُدخِلُها الدار وألقيَ على عطوة في عكر دراه وزجَّ به في السجن.

عوضين اختلجه الندم ينعت نفسه يبصق مرة يسبُّ سبة بذيئة مردداً في ذاته « أقسم بالله العلي العظيم لم أكن قاصدًا، كنت أفكر فقط أن أقرصه قرصة صغيرة حتى يستيقظ وينهض.

فما أن علمت الفتاة ذهبت إلى دكانه عيناها فائضة من الدموع تحدِّثه

_ لماذا يا عم عوضين لكنه أبي؟!

فقال لها وهوا يلفظ أنفاسه.

_ اسمعي أنتِ مثل أولادي خفت على مستقبلك، أنذرته كثيرا لكنه لم يفهم، الناس كلها كانت تستهزأ بهِ؛ والِدُكِ تعاهدَ أن يزوّجُك لعلي الناضر، وهوا الذي كان يجلب له المخدر، أقسم بالله لم أقصد أن أسلِّمهُ الشرطة هكذا خوفي عليكِ هوا الذي دفعني لذلك أنا أسف! سامحيني أرجوكِ.

وانفجرت باكية ثم عانقها بإشفاق وقالت.

_ والله ما عدت أعرف ماذا أقول لك أأسامحك وانت الذي كنت خائف عليَّ من أبي، أم أشكي الله منك!.

وصمتت ثم مضت إلى دارها وعوضين انكفأ على الكرسي داخل الدكان يبكي بغزارة.

وأخـــر مكالمـــة دارت بينهـــا وبـــين أم صـــديقتها وأخبرتهـــا بمـــا دار - وقـــدمت مـــن أجلهـــا لتعـــيش معهـــا؛ اعتـــرض طريقهـــا علـــي الناضـــر وتزوجهـــا عمـــدا بـــالإكراه!. كـــان مـــن كـــل وقـــت يـــزور عوضـــين أبيهـــا فـــي الســـجن يقـــف أمامـــه يريد لو يقف جانبه بالمحنة يُقبّل رأسه راجيًا منه السماح على فعلته.

لكـــن عوضـــين تفاجـــأ حديثـــه المتواصـــل مـــن خلـــف الســـياج « أوعـــى تقـــول كـــده يـــا عوضـــين الســـجن أرحـــم ليـــا ايـــدك أبوســـها مـــن العـــذاب اللـــي كنـــت معيش نفسي فيه!.

جناة أنفسهم

أن تلتهم روحك بعد تعرضك لموقف قد سبب لك جرح، فخ قد نُصِب وابتلعت طعمه وأذابك مذاقه، أناس قلوبهم متحجرة سوداء اعترضن طريقك قاما باحتيالك. أو تصادفت بهم ثم أعطيتهم من مشاعرك ملء ما يجعلهم يأكلونك يفترسونك. بهذا يتآكل قلبك يشتعل يُشعل فتيل حروب داخلك. داخلك كم كنت تهمس كيف أنتقم؟! كم حملت من مشاعر طيبة زائدة عن اللزوم.

حمّلت ذاتك مبادئ قد سقطت وما عادت تصلح مع هؤلاء البشر هؤلاء الضباع جناة يتغذون على افتراس الطيبين مثلي ومثلك - يرونهم للوهلة الاولى وما أن يشرعون في شنّ خطط لهم.

كيف يأكلنهم؟

كيف يحتالون عليهم؟

كيف يطعنوهم؟.

إن أردت أن تعيش بينهم لا تحاول أن تمثل دورًا مثلهم؛ في كيف أقترب منهم كي أدفنهم مكانهم - حاول كيف تصبح ذئبًا بينهم، تتفادى غدرهم؛ مسكينًا لا ذنب له سوى أنه أخطأ ليدفع الثمن. عاملَ أناس على أنّهن يشبهن بعضهم وهذا خطأ.

يعامل البشر على أنهم طبيعيون بسلامة قلوبهم، وقواهم العقلية أفواههم الصادقة التي لا تكذب الذين هم للوهلة الأولى على ما يبدو يشبهونه ببضع حكايات، وبضع كلمات تجعله ينشرح قلبه لهم حد التخمة ويكن أحمق يتكلم اكثر دون إدراك فتكمن هنا المصيبة

المجدية لعبوا على نقاط ضعفك، وجدوا مصالحهم لكنهم ذبحوك. بدءً كنت تبحث عنهم وانت مسكين بصيرتك عمياء يبحثون عنك بقلوب سوداء، بقلوب معتمة هم ما عادوا يبصرون، كلاب لصوص خائنين.

أقسم بالله أنني تذكرت صديق لي كان حذر كل الحذر لكن هو دائما القدر لابد أن يعتصر الناس ويوضعهم في آلة الغسل لتدور بهم تعصرهم حتى يفيقوا و لا تكن حياتهم مفتوحة تلك هي يديك مرحبة إليهم يدخلوا حياتك وقت ما أرادوا، يحتقرنك يغدرن بك وقت ما شاءوا. لقد وقع صديقي ضحية غدر أُناس لا يعرفن الرحمة.

واتسأل كثيرا...

ماذا لو دعاك شخص أخذت عنه طباع بأنه يشبهك، لكن بعض الناس بخلافك يكرهونه، ودائما هو الشرير في عقله والأفضل في العالم وأنه يحتقر جميع البشر وأنت أيضًا ـ لكنه يتلذذ بأفعاله معك، يُرتّب لك مصيبة. أعتقد لو كنت تيقّنت ستنهش روحه قبل أن يأكلك ستمزقه ستلتهمه سَتُقطّعه إلى أجزاء.

ستجلس بينه تبكي شاعرًا بشهوة عالية مثل التي تعتريك عند التهام الطعام عندما تلتهم قطعة لحم أمامك ستتغير معالم خيالك، وطقوس مزاجك عند رؤية مشهد بالتلفاز كنت ستبقى تعيسا لو لم يَقتِل البطل، او العكس لو كان مذنبا لتمنّيت أن يُقتَل.

إن كلاهما يَبعثون لك شعوراً ذا مذاق عالٍ جدا، تغتاظ منه فتقتله وهذا بدافع شهوة انتقام.

تتغذى عليه مثلما تتغذى على لحم البقر.

صفحات قلبك البيضاء قلبك الذي ما عاد يكترث لشيء قد مات! يدق لكنه مات!.

قرأت في علم النفس أن الانتقام يعد دافعاً إنسانياً معقداً ينبع من الحاجة لاستعادة العدالة والتوازن بعد التعرض للظلم أو الأذى، بالرغم من أنه قد يوفر شعور بالرضا العاطفي قصير المدى، إلاّ أنَّ علماء النفس يؤكّدون عموما على نتائجه المدمرة طويلة الأمد.

مـــن منظـــوري أنـــا طـــرق ســـلوكيات الإدمـــان هـــي محـــرك رئيســـي يـــدفع المرء للخطَى في دروب موحشة وأسباب في كثرة جرائم.

لقـد تـذكرت رجـل قتـل زوجتـه بـدافع أنـه كـان يخـدّر روحـه للغايـة التـي تجعلـه فـي عـالم أخـر. المصـيبة انـه اسـتنفد مالـه طلـب مـن زوجتـه أن تبيـع قطـعَ الـذهب التـي تـتلألأ فـي أيـديها ابتاعهـا لهـا عنـدما كـان شـاب بـريء عنـدما صـعقه وسـحقه ضـميره كـان كـل شـيء مـا باسـم الـدين الـذي يحـرّم عليـه مـا يفعلـه ويجرّمـه شـيء اسـمه الحـرام هـل أدركَ الحـرام؟ ربمـا كـان عليه أن يدرك ذلك.

قتلهـا بـدافع أن تبيـع ذهبهـا فتعنّتـت معـه ربمـا هـي قتلتـه كـل ثانيـة عنـدما رفضـت فنهشـها قتلهـا . وقـبض عليـه بـالجرم المشـهود!. اننـي صـحيح تـذكرت وتخيلـت كـل يـوم حـالات وعيّنـات ودوافـع غريبـة لكـن هـذا لـيس ببعيـد أنهـا المـادة، إن الـذي تسـاهل مـع المـادة والإدمـان التـي أغرقتـه بذاتـه وسـمح بكـل جوارحـه أن يغـوص فيهـا تقـبض عليـه تطمسـه فـي الظـلام ليجنـي علـى روحـه؛ وذاق مـن ذاك السـم! جميـل هـوا ببداياتـه مـرٌ هـوا فـي مـرروه ثقيـل كـل الثقـل، يكـون عسـلا حـين يشـعرك بلـذة لدقيقـة أو أقل.

وعنـدما يلكـزك ضـميرك تنعـت نفسـك وتجلـدها وتهينهـا!. وتتسـبب فـي جـرائم عنـدما تنطفـئ بصـيرتك وتجـري المـادة فـي سـائر جسـدك وعقلـك ينـتفض وخلايـاك العصـبية؛ تُفكـر أن تقتـل أو تـذبح هنـا مـا دمـت لا تبصـر فأنت ميت على قيد الحياة أنت الجاني والمجني على ذاته!.

رجال ونساء

زيجاته الثلاثة في بيوت عائلتهن يعيشنّ أيضا معه في منزل كبير من ثلاث شقق. جلس الجمع على الكراسي جانب بعضهم في غرفة الضيوف في إحدى الشقق بالمنزل الكبير الذي يحوي عائلته. الضيوف بمنزل أستاذ « عبدالسميع سند » واحد أخبر برأيه وبحسمه يضطهد تعدد الزيجات؛ وآخر في السابعة والعشرون يتحدث بمنطق وفلسفة ضد الزواج- لكن لماذا؟ لأنه لا يحب الضجيج ولا يحب المشاركة يحب الاستقلالية بذاته كونه يخبرهم بأكاذيب؛ عالمًا الأستاذ من حديثه الأكاذيب التي ينسجها، بعضها يعكس ما يقوله، عن بيقين أنَّ شخصيته ثنائية القطب معقّدة متأرجحة؛ وهو في أشد الحاجة إلى شريك حياة وأشد الحاجة إلى مكوثه بقالب واقع قليل ما يطنّ بالضجيج والصخب والضجر.

آخر يكره صنف النساء بتكوينه أفكار خاطئة متزمتة عدوانية في العموم تشملهم تحركاتهم ضحكاتهم، ما يعتمل بدواخلهم... لكن الأول ألحقَ بما قاله اندفع متعلّلًا كيف ومن حملتك كانت والدتك؟! لكن وسط صخب الحديث الذي دار بينهم- سكت كاره النساء بما لا يعرف ما الذي سيقوله. شاب لم تطأ ساقه الحياة يشبه نبتة خضراء لم تُسقى ولا تروى بتلك القصاصات من قبل حتى ينضج، مُتسمّرًا على الكرسي يسمع ضجيجهم غير مبالي بهم ،غير عالم بمنطقهم يرمّقوه بنظرات حسد. شعرَ عبد السميع بدوار وصداع شديد يغزو عقله قام من كرسيه صائحًا : أرجوكم نؤجّل الجلسة في وقت آخر أعتذر منكم أشعر بالتعب وأقدر نقاشاتنا حول تلك القضيَّة. انصرفا الجمع ووقف في صحن الغرفة رافعًا وجهه عن تعب وعناء اليوم.

الأستاذ « عبد السميع سند » في منتصف العمر رجل متحضر فكريًا قيمة وقامة لكن لم يختر بنفسه حياته حتى ينتقي ما لا يعصف به وما تجدر به حياته؛ متواكب مع الحياة يعمل محاسب يتقاضى خمس آلاف

جنيهات جزء يتحمّله على زيجاته الثلاثة وجزء على تكاليف الأولاد وجزء صغير له يحلّل الباقي منه.

يتعايش مع العصر لكن يعاني من أشياء إحداهما ضوضاء كثيرة وحيرة تعتريه وصراع زيجاته الثلاثة مع بعضهم الأولى ... لديها ولدين الأول الخامسة من العمر والثاني في الثالثة عشر؛ مثل كل النساء الضرائر تتملّكها الغيرة من الثانية تغتاظ منها بشأن جمالها المُتميّز عنها- الغريب أنها تحسدها وهي لم تنجب- لكن الثانية ليس لديها فن احتواء زوجي وأن تعطيه الحب تخلق له جو من الدفء مثلما تفعل الأولى لكنّها تحجب أولادها عن الثانية تفرض عليهم قانون

« أنتم لبعضكم فقط إخوة » الثانية هكذا.

المدهش أنه يحنّ للثالثة عندما يجتمع بالأولى والثانية؛ الثالثة أم أولاده الأربعة ثلاث شباب وفتاة؛ هي الحب الأول والأخير رغم الرجل الذي يُعدد زيجاته تكن الأولي بالفطرة هي الحب بطقسهِ المنزرع داخله إنّها أيضًا تمقت ضرائرها كما يكرهونها لكنها مثلهم لها حقوق وواجبات ومتطلّبات.

لقد أحظى بها في تربية أولاده على الدين والأخلاق الحميدة لكنه ما زال يحمد الله أنها لم تشنقه على فكرة أخرى تتمثل في كيف أتزوج من الرابعة؟!. جلس بمفرده يحتسب كم أنفق عليهم يجري دراسة عن مصاريف الأسبوع المكلّفة بالرغم من أنه لا يدخّن لا يولّي نقوده في ما لا يَفِد - لم يفكر رغم الأزمة التي أحلّت عليه أن يبتاع حلّة جديدة لذاته المثير للريبة أن لا شيء يرضيهم ولا يُعجبهم. كانت امرأة واحدة تكفي للعيش واشباع رغبات في أن يتعاون كل منهم على الآخر ينكبّا على مستقبلهم في هدوء.

لم يستطع كبح جماح رغباته رغم تحضره عن اشتهائه للنساء كونها غريزة؛ كلّهن يمثلن إليه شيء كل واحدة تختلف عن الأخرى هم

بمثابة جواهر تتلألأ على الأرض كل واحدة تغني عن الأخرى هيئة أخرى فكر مختلف جمال هيئة تضاريس جسد تقاسيم وجه.

في شئون عمله يعمل ثمانٍ ساعات صباحا متواصلة في الشركة يرَ نساء عديدة الواهنة .. البدينة الجميلة .. السمراء .. الشقراء .. البيضاء .. الحسناء يختلس نظرات. " عبد السميع موظف كفء لكنها غرائز كامنة تجتمع في أي رجل؛ ثم يحترم نفسه ويُذكّر نفسه بزيجاته الثلاث بالبيت.

داهمته فكرة أن يبتاع سيارة أجرة يعمل عليها في الفترة المسائية لكن فكرة السفر إلى دول الخارج كانت تراوده أصبحت فكرة مائعة لا تراوده الآن لا تعتريه- كيف يترك أولاده وزيجاته. إن المعضلة الكبرى ليست أيضًا في جني المال لديه إن العائق الأكبر زيجاته التي مهما جلب لهم من مال ومهما أسعدهم لا يشعرن بالرضا حياله دائما يشعرن بنقص.

أصبحت المعيشة كما هيَ يتخبّط تسير كما عليها نفّذَ فكرته وابتاع سيارة يعمل عليها لكنه أهمل كثيرًا في صحته؛ جلس في خلوة برفقة أفكاره المتضاربة بعضها في صراع وثورة، أنّ مهما كدح لهم وفعل لن يتراضى جميعهم،

الثلاثة تفاجئن بنكبة أحلت بهم طلاقهم أصدر حكمًا لكل واحدة بثلاث طلقات، وعزم أن لا يترك أولاده بإعالتهم ومكث برفقة حالة... لا ضجيج لا ضوضاء لكنه صعد إلى سطوح المنزل وقف على حافة السور متشبثًا بلوح جانبي يفكّر في الانتحار بعد فكر أنهك روحه وعرق غزير سال منه قال مرددا: استغر الله واتوب إليه!.

ظاهرة المليونير

الأستاذ « مجدي » رجل مصري بالغ عاقل يقال أنه ظاهرة! متألق يتحدث خمس لغات، الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، الإنجليزية ؛ لازال يحتفظ برونق اللغة الأم. حوله عائلة وأشقاء يمكثون في منزل واحد، و له منزله الخاص الجديد بعمارة، النساء يطارداه وينجذبن إليه وعلاقاته بهم متقلّصة يمكث في المنزل وحده موصيًا ذاته وزكّاها محرمًا على روحه أن لا تطأ امرأة منزله وكأنها جريمة يحب الوحدة بعد أن تنتهي أعماله الشاقة يقدس الهدوء من زحام وضجيج الناس.

لديه حب استطلاع غير طبيعي في حب الثقافة يشاء يُنقّب أكثر البشر يحسدنه على علمه وعلى ثقافته ولا أحد منهم يقول

« ما شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ». إلاَّ الشيخ « إبراهيم ود » ذا اللحية الغزيرة شيخ المسجد جاره بالعمارة برداءه الجلباب الابيض ذا السديري وعلى رأسهِ القلنسوة البريه واقفًا دون حراك متعثّرا غير عالم اللغز وراء الأستاذ " مجدي. المدهش أن الشيخ إبراهيم لا يرَ أي زائر يرتاد شقته، ولا زوجة تعوله ... فمن الذي يعوله؟.

يكرر ذلك مرارًا عن حالته - إن رجل بالغ دون امرأة في حياته كيف؟!. يمسك سبحته يُرتّل عليها ثم يُتمتم « آمنت بك يا رب؛ كيف بعد العمل الشاق يُلبّي شربة ماء لنفسه، كيف يجد وقت يطهي طعامه، كيف يجد وقت في أن يغسل ثيابه!؟. كيف يقضي وقته دون معاشرة الناس دون أن يحتاط بهم؟!.

وانتهى متمتمًا ولمح صابر الصيدلاني الحكيم يدخل فسار على خطاه فاتحًا الباب متمهلًا صابرا حتى يرفع رأسه فبدى باسمها قائلا « أهلا يا سيدنا الشيخ احنا زارنا النبي (ص) استنا أجبلك كرسي. وجلسَ على الكراسي قبالة بعضهم وكان الشيخ ابراهيم حكاية مجدي شغله الشاغل متحدثا « ألاَّ قولي يا صابر يا بني اي حكاية الجدع ».

– جدع مين يا شيخ ابراهيم؟!.

_ الراجل اللي ساكن في العمارة وسيرته على كل لسان!

ومضت في عقله سيرته من آخر مقابلة وتذكر الأستاذ مجدي

_ أيوه يا شيخ إبراهيم ... الأستاذ مجدي ده رجل محنّك ... ما شاء الله واضح عليه ابن جاه وعز ... سمعت انه يتكلم لغات ... والشقة اللي قاعد فيها اشتراها بعد تأجيرها ... أما بقى اخواته كل واحد في وادي.

وكان الشيخ قبالته منبهر من معرفة كل هذه المعلومات

_ اسم النبي حرصك يا صابر ... وانت بقى يا سيدي عرفت الكلام ده ازاي اكيد سمعت الناس قالوا حاجة.

_ لا يا شيخ ابراهيم كان يجي الصيدلية من كل وقت إذا احتاج شيء وكان يكلّمني وأفتكر مرة ووقفنا نتكلم حوالي نص ساعة متواصلة، بس كان غريب شوية يعني مش من الناس اللي تقابلهم تنفتح قلوبهم ليك فجأة يظهر وراه حاجة؟.

وسكت صابر متتابعة نظراته إلى الشيخ الذي بدا يطأطئ رأسه يتمتم« بقى كده أه ».

وانتابت صابر الغرابة غير عالم بسيل أسئلته.

_ لكن أي الحكاية يا سيدنا الشيخ؟ يعني حسيت أنه شَغلك الرجل ده!.

يداه اليسرى تداعب لحيته الكثة!

_ أصل الحكاية مش كدا يا صابر يا بني راجل أي ده اللي مع حاله، لا مرا ولا عيال ولا صحبة، ولا أهل ولاهم يحزنون وكلام الناس كتير لا يقدم ولا يأخر.

يطأطئ رأسه

_ سبنا من الناس يا سيدنا الشيخ الناس ما تر حمش وعينهم تفلق البيضة والحجر.

_ على رأيك السلام عليكم .

وولّى شطرَ دياره بينما انهمك صابر في حديثه وظلّ يفكّر.

الأشقاء يتجمّعن ويجلسن في منزلهم على الكراسي وعقولهم مليئة بالصخب.

الأول يُكبّر الثاني والثالثة في العقد الرابع.

الأول.

_ شُفت أفعاله وصّلتنا لأي ... كاتب رسائل لكل واحد على التليفون لا ورافض وجودنا كمان.

الثاني ضمّ كفَّي يدَه تحت ذقنه ناظرًا أسفله.

_ اللي حصل مننا مش قليل!.

فقال مندفعا.

_ طالب بالورث قصاد الفلوس اللي يا كلها الحطب ... اللي لا لها أول من أخر!.

الأول.

_ يا أخي ده حقه شرع الله مالك! الراجل فلوسه كانت من كدّه وتعبه وشقاه.

الثالثة مندفعة.

_ بس بقى أنت وهوا أدي أخرة اللي يطاوعكم.

وقام الاثنين من مجلسهم واضعين اللوم على شقيقهم الأول ودخلَ غرفهم. توالت الايام ومجدي انغمسَ في أعماله في ذهاب وعودة؛ ومازال الفضول كسهم يفتك بالشيخ.

وذات ليلة في الصباح نزل مجدي وكان يبدو عليه المرض متجه إلى الصيدلية يجلب دواء يرخي أعصابه وطلب من الحكيم صابر نمرة هاتفه المحمول؛ غادر إلى الشقة يجري اتصالات هاتفية للجهة المهنية معتذرًا بشان صحته التي تدهورت وأجرى اتصالًا أخر بالحكيم صابرو فتح الباب ليمرق إلى الشقة في صرع.

علي الطاولة الأدوية المتكوّمة جميعا بتصنيفات مختلفة وأنوع مختلفة مهدئات الأعصاب مهدئات للاكتئاب، ومهدئات للأرق. ولبثه جنون تمكن منه وانهار قام يترنّح وألقى بجسده الذي بدا جثة خامدة لا تدب فيه . ألحظ الشيخ إبراهيم صابر الصاعد الى الشقة انبعث صوته بزعقة وتأبّطَ ذراعه وصعدَ معًا إلى شقته في فظاعة المنظر راكعين أسفل الفراش يتحسسون ذراعيه التي ما عادت تدب فيها الروح، وانتابتهم قشعريرة؛ وقال بصوت متهدّج« الدنيا مش فلوس، الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، دول اخواتي اللي أكلوني لحم ورموني عضم » ثم انقطع صوته وأصبح يشهق ثم تنهّد ... ووافته المنية.

ما بين السطور سرٌّ دفين

يوميات " عماد أمين "

٢٠٢٤

اليوميات الأولى

من منا لديه معجزة وقدرة، في تحليل ومعرفة ما سيحدث وسيلحق به من آذى لمجرد دقائق معدودة؟!. ضع في مخيلتك لو القليل وتخيل معي أن تستنتج كارثة ستحدث لك، وقلبك وقتها كان يدق بسرعة شديدة.

يُخيّل إليك أن تنطرح من مكانك وتسقط؛ إنَّ هذا مبني على استنتاج أنَّ كل ما تفكر فيه سيحدث!- ماذا لو كنت من العبث تدوّن مذكراتك اليومية منه يحدث، وما لم يحدث ما يغوص فيه خيالك ويحدث... إنه حتما سيحدث.

جلست متوتراً مشوشا خائفًا ظللت تحلل الموقف وتعقِّده تخمن ما يحدث. إحساس قاتل جدًا خانق لقد جرّبت هذا الاحساس كان يشنقني يخنقني مررت به، وتمنيت أن يمرق من أمامي كل يوم تمنيت ألاَّ أتخيله وأصدّقه هوا أن تتورط أن ينسب لك مالم تدلي بقوله أن تشم رائحته إنّه الخوف ... الخوف يشلك يفقدك توازنك الخوف من المجهول والله ليس تعبيرا مجازيا. رأيت المشهد ذاك على وجوه أناس يحكين لي عن ورطَتهِنّ التي ألمّت بهن- يخاطبنني: نُسِبت إليَّ سرقة - وكادا يسردن لي ما حدث.

وجدت ملامحهن بوجههن غريبة كل البعد عن مشاهد مخيفة ووجهن المصبوغة بلون ورائحة الخوف. تجده يتجوّل لكنه خائف تائه شارد - قلبه يغلي يشم رائحة إحساسه الذي آمن بهِ .

أخر جلساتي به في منزل عائلته بالقرية الريفية في الحي المتوسّط بغرفة الجلوس بالركن الهادئ، كانت تفاصيل عقله المشوّش ذا الصوت الصادر عن طنين يسمعه وحده كنت مدرك وغاية في الإدراك عن ذاك الطنين، وأعرف هذه الافكار التي يعانقها فكرك قبل عقلك ويغمرها خيالك.

قس عليها ذكريات مضت تنثر الغبار على حاضره.

لا زلت أسل أتحاصره؟!،.

أتذكر الغرفة المنعزلة عن ضجيج المارة والصغار في الحي. كل شيء في الغرفة برتابة لكن عقله في فوضى عن ضوضاء وحكايات تبدو خيالية جعلتني حائر قتلني الفضول أعرف واستكشف ذلك.

القلم والمفكرة على الأرض، الغطاء متمايل عن الفراش قليلا البراد دون غطاءه أعلى الموقد عندما طلبت منه يعدد لنا الشاي، كان تائهًا ناسيًا يمشي يبحث عن الشيء خزانته الخاصة متكوّمة على بعضها في فوضى، قميصه متروك دون كي- ياقة القميص تبعث لي شعور بعدم الرضاء. عناقنا مذ دخلت إليه ليس بطعم أول مقابلة! شيء ما بذاته يحمل جفاف مشاعره صوته واهن أحاسيسه عليها رحمة الله.

أحدثه: ماذا بك يا عماد؟

غير قادر على الرد يُشبِّك أصابعه توقفه أفكاره التائهة- من أين يبدأ لا يعرف ينظر لي وعلامات التيه على وجهه .. يجعلني أتطرق لسؤال بمخيلتي ....هل تلك القصص التي كان يدوّنها في مفكرته جرّدتها السطور؟ هل أصبحت كما هيَ بيضاء ناصعة فارغة؟.

هل جُلّ أحاديثه من شغف انطفأت؟.

هل هناك شيء أخر لم أعرفه؟. كنت له مثل بئر يضع فيه جُلّ أسراره ــ ما لم يقدر ويقدر على الفصح به ما حدث للعائلة، ما حدث معه أمس ما يخطط له بعد عامين؛ عندما يضع خطة ويفكر، كان يرتمي في حصني عندما يؤرقه شيء ... لكن ماذا حدث ماذا دار لم أفهم؟.

أجِـده أمـامي مـاثلا بنظراتـه الضـائعة الحـائرة بنظّارتـه المقعّـرة، مشـبكًا أصـابعه ببعضـها يرخـي عينيـه عنـي إلـى المنضـدة فقلـت للمـرّة الأخيـرة : ماذا بكَ يا عماد روّعتني؟.

دفع وجهه إليَّ بعينيه المندثرة هالتاها:

_ أنـت تعـرف كـل شـيء وتريـد منـي أن أتحـدث، كـل الأشـياء تتطـرق إليهـا على إنها أشياء ثانوية عادية. ألم تتذكر....

فطنت وأدركت بالقليل منه وقاطعته...

_ أيًـا مـنهم يـا عمـاد « إلهـام » التـي تزوّجـت أتعـد عـائق عليـك لا لا لا أبـدًا. ظللـت تطاردهـا بمـا يكفـي سـبقتها أنـت بالحـب، فكنـت اعمـى خطيـت قلبهـا بمشـاعرك اضـطرّت المـاكرة أن تسـلبك مشـاعرك وغـدت تزوجـت قدرها.

هـل كنـت تحبهـا؟ ..... لا لا لا تُمثِّـل علـى مشـاعرك كفـى أعتبرهـا نـزوة ومرقـت. هـل كانـت عواطفـك تقتـادك مجـددًا تجـاه " نجـوى " التـي تقـدمت لخطبتهـا مـا إن ألحظـت دواخلهـا ومـداخلها وكـل سـبُل دوافعهـا مـن تـرك؛ أمـا زالـت تـداهمك؟ وكبرياؤهـا الـذي يمنعُهـا لـو ببضـع كلمـات ... حتـى تقـول لـو أنّهـا راجيـة أن تفهـم مـا لا تريـد أن تفهمـه وأن تمنحهـا الفرصـة؛ إنّهـا علاقـة وانطـوت صـفحتها؛ وأنـا وافقتـك ولا زالـت تقـول " لو كان يمنحني فرصة أخرى!.

وأنا لازلت أنبح في صوتي وأقول تَيقّظ وأنت تائه!.

هـل « فريـدة » الحمقـاء التـي جازفـت بحياتهـا ومشـاعرها التـي كـادت أن تحرقهـا وتخلـق بمسـتقبلها ألـف عـائق وعثـرات وتفسـد سـمعة والـداها المكـرمين المرمـوقين فاضـطرت بغبائهـا أن تصـدقك وبغبائـك أيضًـا صـدقت مشـاعرك مـا إن تنصـحها الاّ تحـرقَ بعضـكما مشـيتم فـي منتصـف الرحلـة رغـم أنهـا كجنيـة جمالهـا فـاتن وشـيء داخلهـا بـريء تكنّـه إليـك جـرّك مـن ذاتـك إليهـا، جعلـك عـالق فـي دنيـا أخـرى هـائم فيهـا رغـم سـبب تركـك إليهـا، لأسـباب أخـرى لـم تطلعنـي عليهـا ماضـيها وحاضـرها يطاردك- إن يدٌ ما أفلتت الأخرى! لكن عقلك غارق سابح فيها.

كل هذا أنعته وجهه منكب على المنضدة متحجر منكمش صامت وجهه العبوس خلف نظارته المقعرة دموعه التي بدت أن تسقط لكنها باقية في نشوى حزنه عنها خائف متوتر متردد.

حيث مجددًا الكلام الذي استشفيته دون ما لا يقدر على بوحه إليَّ وحدي اغرورقت عيناه التي سكب منها بحور على المنضدة ليسامحه الله قلّب داخل قلبي المواجع فدعوت الله له أن يبدل أحزانه إلى سعادة - رغم انني لا أسامحه على كذبة بيضاء، أخبرني بمفاجأة ثقيلة كل الثقل على قلبي.

الأحمق قال لي ... بمجرد رسالة سيسافر ... كان وقتها سيجتاحني الحنين لأي غاية لا أعرف رغم كوني في مرقدي لكن ما تمعنت فيه أنني بالفعل سأفتقده.

في وقع حكايتي عنه جعلتني قد نسيت أخبرك لو بالقليل عنه ؛ هو من تلك النوع الذي يتبسّم دائما الذي يحبه قلبك، لكن ما أن تتطرق إليه تأخذ فكرة أنّه من النوع الساذج نوعا ما ... غريب جدًا ما أقوله اليس بالفعل؟!.

ساذج كونه يعامل الناس في فترة زمنية ضنينة على كونهم قلب واحد. أحيانًا من النوع الحذِر كل الحذر أحاسيسه ترتبط إلى أعماق بعيدة يتأمل في كارثة جراء طيبته، لكن سرعان ما يتجرع السم سرعان ما تنقلب حياته ويصبح كالطيبين عندما يتحولون.

أحضر جواز سفره وحاجياته في حقيبته؛ ودّع عائلته على مضض ركب السيارة إلى مطار القاهرة الدولي مباشرة إلى " المملكة العربية السعودية ".

كان يبدوا عليه الحماس جدًا رغم حزنه إن كل البشر تتمنى ذلك أحلام كثيرة يفكرن بها آمال كثيرة يصدقنّها لكن لا تؤتي ثمارها ولا تسير وفق ما يُريداها!. إن العمل في الخليج جيّد وأمواله جيدة هذا حلم والحمد لله أن تحقق أشياء كثيرة كنت في بلدك لم تحقق منها ولا شيء.

هـذا بمثابـة امتيـاز مـع مرتبـة الشـرف كـان النـاس بعضـهم ذي ثقافـة عاليـة مـن المفكـرين والحـالمين غيـري وغيـرهم يتطرقـون إلـى أوروبـا ودول الغـرب. إن بـدول الغـرب حكايـات وروايـات أخـرى. المـدن الخلابـة حيـث حيـاة أخـرى، كنـت تشـاهدها وتمـلأ بصـرك بهـا فـي السـينما فقـط أيضـا النساء الجميلات الجذابات حدث ولا حرج.

كنـت سـردت عـن علاقاتـه العاطفيـة لـم يجسـر أن يُقبِّـل فتـاة ولا يسـتطع أن يرافـق فتـاة ولا حتـى يحظـى بمشـروب معهـا فـي مقهـى والـداه علمـاه جيدًا في هذه المسائل كانا قساه جدًا عليه.

دعـك مـن علاقاتـه السـابقة فهـي علاقـات إلكترونيـة مـن خلـف محادثـات. لكـن كـم مـن مـرة يتوعـدهم بأنّـه سـوف يقـابلهم فـي مقهـى ربمـا فـي نزهـة أكـاد أجـزم لـو قـابلهم سـوف يـتمعن النظـر إلـيهم كأنـه مكتشـف صـائحات الموضة.

صـحيح هـن جمـيلات - إحـداهن صـاخبات - وإحـداهن جـديرات لـذكرهم عـن الموضـة .... ببراعـة شـديدة عـن كيـف أرتـدي اليـوم زي أنيـق يهـوس ويجـنن حبيبـي؟. إحـداهن حـائرات مشـت الطريـق فـي درب عواطفهـا لكنها خشيت عواقب وخيمة.

أعلـن رحيلـه وعرفـت مـن رسـالة بعثهـا لـي كانـت متـأخرة جـدا حتمـا سـتمرق لحظـة عتـاب بصـمت- لـن أغفـر لـه .... ألـيس بـين المتحـابين الأوفياء الصدوقين عتاب؟.

رحـل ونسـيَ مذكراتـه، وحفنـة مـن الـورق الابـيض المـدوّن عليـه بتوقيـع خـط يـده، أعددّتـه ودرجتـه فـي مكتبـة منزلـي. لـم أسـتمع إلـى رنـين هـاتف جـاء لـي، لـم أتطـرق إلـى رسـالة ... فيهـا ...سـافرت ولا أي شـيء؛ لكنـه تـرك لـي شـيء ثمـين بـاهظ مـن رائحـة حنـين غيابـه كـل مـا أريـد تـذكره أشـرع فـي قـراءة يومياتـه بمذكراتـه ألملـم خيباتـه مـن علـى السـطور وأقرأهـا أشـعر أنـي أحتـدم بشـيء. هـل أيضًـا كـان يـذكرني فـي حنايـا صدره؟!.

جلست على الأريكة بجسد منسطح، واضعًا ساق على أخرى مستندا برأسي على وسادتي بعقل متمعن مصغٍ لمدوناته بمذكرته وبعض أوراقه عن يومياته. في يومياته كتب جزء أول مرة أشهده بطلائع نظري قال أن هناك إحساس ما سيعتريه بمنتصف الطريق سيقع في يدهم ويصبح المغدور عليه- هل كان مهووس مجنون؟ يصدّق خرافات عن جنون أم أنا من أبالغ؟ أو ربما ظننت أنه يخلق سيناريوهات داخل عقله ويعيش دراما؟. ما قراته وسردته ليس خيال ولا أوهام.

. انتابني إحساس سرعان انهمكت به فاضطربت قليلا وراح إحساسي يؤكّد لي بالفعل أن هناك رسالة ستُبعث إليَّ وأن الهاتف المحمول سيهتز برنين جاري.

الآن بُعِثت رسالة تنوب عن مكالمة هاتفية ألقيت المذكرة على المكتب لكنني لم أشهد كل شيء في حياته ، الغريب هنا أجعل عقلي يفكر عن جزء طفيف من كتاباته واتأكد من احساسي أنه سيتصل. أذكُر نحن انتهينا من الدراسة ... ذاك الهم الذي يمقته الطلاب ضحكنا قدر ما ضحكنا ضحك طفلين معًا، تشاجرنا كثيرا في أمور تبدوا لنا تافهة، تناقشنا في أمورٍ تعنينا ولا تعنينا؛ تصالحنا كما تتصالح تتصالح الأوطان مع بعضها البعض؛ لم يكن بيننا سياسة وفق مصلحة كنا شخصين رغم كوننا شخص واحد، أرض واحدة، قلب واحد.

أمسكت بالهاتف المحمول الناجم عن اتصال كل هذا واستغرق عامين كاملين دون ... اشتقت اليك - أو حتى كيف حالك يا رجل ... على ما يبدوا أن الحاضر شوّه جزء من الماضي! أكدتُ الاتصال- لكن اكتشفت من صوته متمعنًا شعوري بكتاباته المدوّنة يبدوا أيضًا والأحرى أنها تسير في شرعها الصحيح.

يا له من تعيس! أين ذاك الطائر الطليق الحر الذي كنت أيضا أشهده عندما يتحدث بطلاقة عن الطموح والأحلام أين؟. أين المتفلسف الذي كان يعطي نصائح ماذا دهاه؟. ببضع ثواني انبعث صوته المتأثّر الصائح الشاكي الباكي دون مقدمات عن رنين خلف السماعة الهاتف:

_ أنا في ورطة وغير قادر على أن أفكر.

ثم سكت لثانية وكرر قائلا:.

_ أنا أحمق، أحمق، أحمق!.

اندفعت حتى أهدّأ من روعه:

_ عماد ما الذي دهاك؟ ماذا يجري معك؟ العائلة بخير.

بدأ يُنهَج عن بكاء متسلسل واستمر مثل الصغار عندما يفعل الولد خطيئة ويلاحظ أنه سيعاقب عليها. أخذ برهة يلملم دموعه على نهيجه

قال.:

أولاد الحرام.

قلت:

_ كثيرون لكن من هم؟!.

وأكمل:

لقد شنّوا لي مخطط.

ثم انتابه الصمت لثواني. وكما تمعنت، يُكمِل بكاءه. هل كان أحمق لهذه الدرجة؟ هل كانت طيبته جعلته تساهل لتلك الغاية؟. لابد أن فتى مثله لن يتحول وتتشكل مكنونات ذاته وخفاياه الداخلية إلى وحش قاسي صنعته الحياة المستوحشة في غضون ساعات ودقائق أو ربما عام. ما زلت أسل لماذا تنشب الحياة أظافرها ليجرح الناس بعضهم البعض؟! . صحيح إن الدوافع كثيرة؛ لكن من يقبل على ذاته الحكم بالموت كل يوم!.

. اندفعت صائحا:

_ هل أحد ما قام باحتيالك؟ ولو كان هذا فعلا فكيف؟! قُصّ لي ما حدث!.

وقد عاد صوته بعد أن بعثت كلماتي في فؤاده الراحة.

قال.:

_ تعرضت للاحتيال أنت تعرف تلك التفاصيل التي تبدوا للوهلة الأولى بسيطة لكن سرعان ما تقع وتسقط ضحية تعرفت على اثنان في مسقط عملي لقد سُرِقت أتعلم الفاجعة الكبرى لدي أنني كنت أفكر في هذا الشيء.

سرعان ما غرق عقلي في أجزاء مدونة بالمذكرة كيف لي أنني لم أقرأ هذه السطور، أمسكت بالمذكرة من على المكتب أتفحص أوراقها بأعين منبثقة بالفعل لم أصدّق هذا على حقيقي أم خيال؟.

كتب في سطور مذكرته أنه سيسافر قريبا سيلحق بعمل سيرافقه اثنان كنت بدأت أفهم أن هذه مجرد قصص يؤلّفها من عقله؛ الذي يدهشني عندما كانت هذه المذكرات في حوزته ونحن معًا، ماكنت أرى شيء يطرأ فجأة يهبط على حياته. كان يشكو كنت أصغي إليه كانت أشياء ثانوية عادية ... نوع من المغامرات أيام المراهقة الأولى أيام علاقات الحب ما الذي قلّب حياته رأسًا على عقب؟.

بين السطور أيضا يخلق في آفاتي سؤالاً: هل كان أحداث مرتّبة؟ أم القدر؟... أنا أعرف أن زملاء المهنة، دومًا ما يكنّوا إلى بعضهم كل حب وتقدير من النوع الذي يمدني بالراحة إليك فأثرثر معك أكثر، وأنحّي القلق منك بعيدا لكن لو كنا تقابلنا في ظروف أخرى لكان أفضل بالإمكان.

وراح فكري يتذكّر ويتفكّر بمقولة « الممنوع مرغوب » هذا يؤكّد لي أن كل شخص تصادفنا الحياة به يحمل قصة. أيضا يكن السبب والمتسبب في قصتنا إن أدلينا عن أنفسنا أكثر!.

هناك ما بين سرٌّ آخر لن نجسر على قوله أسرار في دواخلنا دفينة. لم أصدق أن اليوميات الأولى انتهت هكذا؛ وأن الاتصال الذي جرى بيننا كان في غضون فترة قليلة. عزيزي القارئ سأقص عليك مرة أخرى شيء صغير؛ أذكر أنه لا يحب الشيء إلا إذا تطرّق إليه فحب الأشياء بالنسبة إليه عقوبة يُجزَم عليها - متى يُجزَم عليها؟. إذا راح يغوص في حب الشيء إن دفعه قلبه دون عقله.

مثلا كلمات يطلقها ثم بعدها يتعقب بعضها كيف صدرت منه؟، ثم يلكم ذاته ينعتها، يفكر يحلل ما أشنعه شعور نفسي حقير لكن ما بأيدينا، إنّها النفس البشرية ومتتبعاتها ومشتقاتها.

لابد على المرء من حين إلى آخر أن يُقلّص ثقته بالبشر. عليه أيضا ألاّ يكون أحمق، يتعلم من دوافعه. حياتنا ليس مفتوحة على مصراعيها دائما للعابرين لتدعس

إن اليوميات لم تنتهي بعد!....

(المملكة العربية السعودية . . . ٢٠٢٤)

في طي الكتمان

سوف تشاهد بأعينك هذه الصنوف من البشر هم داخل صندوق مغلق، يميلون دوما بالتطرق إلى ما ليس لهم؛ ما إن يعرقلوك في بدء طريقك الشاق يُشّعِلن فتيل الفتنة بينك وبين أحباؤك يصبِحن أخصامكَ، هنا ينبغي أن تنتبه كثيرا لذاتك.

تتلفق لك مواضيع كثيرة إحداهن يخطط لقتلك. لن يقتلك ولن يحمل سكين كي يغرزها بقلبك سيخطو في دربك يحاول إسقاطك يرمي عليك بالكلمات مع هذا وهذا، في كيف يصل إليك يسيرون في سبُل مصالحهم كما هم ممثّلين مفتعلين عليك الحب، أمّا أنت فما إن وجدت مأوى تصمت، هذا يُمثّل حقد طبقي كبير.

إنك تصمت عن الحكاية من جذرها هناك أسرار غير قابلة للبوح بها أسرار في روايتي ورواياتك على السطور أعلى الصفحات قابلة للطي نلوذ بالكتمان - أحدهم لا يستطع أن يشرح لكنه يستطع أن يصرخ. أحدهم تشوّه بمرآة شُرخت عكست لي ولك ما نحمله من انطباعات.

هل للوهلة الأولى الانطباعات هيَ من تحدد مصير من نُقبِل على رؤيته بنظرة مرئية حانقة؟ ... لو كان هذا صحيح لهرب البشر من بعضهم البعض لسودّت الحياة أكثر وعقبها سيل من الأسئلة من أين يجنون ثمار حياتهم؟.

... هل كنت أموال فقط يسعون إليها عن جهد وكفاء بعد عناء فصاروا يخطين إليها لاهثين معلنين العصيان يقترفن منها ملء ظمآهم عن عطشهم وولعهم الشديد بالمال. يفكرون يقولون: كان ذا وجاهة ومناصب عليا يصبح هذا الذي يفتح النار كل يوم لذكر الناس له على ألسنتهم.

شهرة، نقود مكتظة تلك التي تثير شكوكهم وتفتح أفواههم عن سؤال من أين لك هذا؟. لعلهم يدركن أنها محاولات وسعي بعد عناء، أليس

يكفيني شرف المحاولة؟ أليس يكفي أن غامرت و بالكاد سقطت؟ بمحاولة تلو محاولة وفشلت، ومجددا قاومت وقمت أنفض من على كاهلي اليأس ألم أتلقى الصفعات في بدء الطريق؟- وكنت أظن ذلك نهاية المطاف!.

وكنت أرى في المتوهمين الحالمين أمثال الذين يجلسون قبالتك يحتكرونك سرًا، يملأن عقلك بالأحلام التي لم يُنفّذ منهن أحد أي شيء، وهم يجلسن وينعتون ذواتهم ويفكرون بيأس مكانهم دون حراك. ودائما يقولون لك من أين لك هذا؟.

للوهلة الأولى أتصادف بشخص ما ويبدوا عليه أنه من طبقة متوسطة فنتقابل في مكان راقي لست متأكدًا بأن الأماكن الراقية التي ينفق المرء بها ماله عندما يستهويه مزاجه إن بهذا الصدد، هذا لا يعني أنه أسطورة أو قدوة، لو كانت تُقاس بالأموال كان هذا يُعني أن الملابس التي يرتديها الشخص هيَ من تستطيع تحدد هويته وتجعل منه رجل؛ وتجده كالمتحذلقين في أمامك في طلّته فيرمقني بالنظرات، أضطر أنا أحسم الجدل وألقي التحية ... يرد عليَّ لكن أحس كلماته مسحوبة من أنفهِ.

فأتكلم معه أكثر وأعطيه حقه فقط. لأنني تعودت أن أعطي كل ذي حقٍ حقه هنا يشعرني أنه من محققين الجنائية حيث التحقيقات ماذا تفعل هنا؟ هل هذا مكان عملك؟ كم تتقاضى ما شاء الله ابتسامتك تنوب عن شيء ماذا يجري معك؟

ماذا لو ألهمك الله سبحانه وأعطاك شخصًا يغدق عليك من المال ملء ما يحقق لك ما كنت تحلم به؟ فتحقق ما كنت تريده؛ أنت كنت غير قادر على تحقيقه ـ تسل ذاتك كالمجنون فتُعمى بصيرتك القلبية حتى

ينبعث تلك الشعور بداخلك وتستشعر نعمة الله الجليلة عليك فتتحقق لك معجزة كنت تظن أيها المسكين أن الطريق وَعر.

لكن لا شيء تجلبه لك الحياة يبقى من الحظ أو تظن أنك إنسان محظوظ ما أن تتطابق الحياة بسيرها وتتفق معك مرات طيلة عمرك. لكنك والله مسكين تأتيك النعم، يسترك الله رغم هذا تقنط.

لا شيء يتعثر عليك بنعم الله الكثيرة إلاَّ القنوط من رحمته، إن رجوته بإخلاص وانت خاشع تتبتل إليه ثم تؤمن بنفسك يوفقك ويأخذ بيدك أكثر.

اسئلة تداهم عقلك من هم؟ ومن أنا؟ ماذا يريدون؟ وماذا أريد؟. وراء كل حكاية سر! فأرجو أن تصلي لله من روحك..

* * * *

سر المنزل رقم ٥٤

اليوميات الثانية

اثنان وعشرون

من مايو . . . : "الخميس"

الساعة الواحدة؛ والواحدة والعشرون مساءً .

خلف السطور ....

من جهة كانت تحاوطني متاهات الحياة صرت أتخبّط باليمين وعن الشمال لَكنّ عقلي كاد أن يُختنق بكل جزء منه، إن هذا لا ينوب عن جنون يهبط على عقلي أنني لازلت بكامل قواي العقلية.

تلك اليوميات المدوّنة التي شرعت أخطها بقلمي خلقت داخلي فضول قتلني ودوافع عديدة منها آلاف الاميال التي تتطرق إليها روحي، تقتلني كل يوم أتعذّب.

كل يوم أحدثني عن كوابيس الأمس؛ أحدث خيالي أشياء أظن فقط أنها لن تحدث ويبدوا أنها ستحدث. لدي رغبة عارمة أن أكمل تلك اليوميات.

في منزل من الطراز الخاص بمدينة أبها الجنوب؛ حيث تعج بالأثاث الرائق كل شيء مختلف تماما تلك النظرة التي تضاهي رؤياك للحياة؛

هنا يهبط على عقلك تفكير ذاك الذي يطلق العنان لخيالك كثيرا . كل ما كنت أفكر فيه يحدث تخيلت من زمن بعيد جدًا ذاتي أعمل كحارس شخصي بفيلا. راح يغوص خيالي عن رسمه لكل شيء. الوان الديكور الجذابة الانتيكات الموضوعة

الأرائك القماشية بلون البيج العديد من الطاولات من طراز الرخام حمام سباحة صغير في نظرتك له يشبه البركة، أشياء معدة بفن؛ إن لمستك للشيء بمثابة فن، كلماتك المطلقة منك تعد فن تميُّزك أيضا فن حياتك وانتقاءك لها هذا أيضا فن. انتقاؤك لأناس يثيرون فيك روح الفن يعدُّ أيضا فن ويحرّك شغفك.

قيل لي وجوبا من السائق بعد أن أقلَّني بالسيارة إلى للمنزل أن حارس المنزل قبلي قد ترك العمل لم يثيرني بصلة انشغالي عن سبب تركه للعمل فرؤيتي للمنزل جعلت عقلي ينساق وراء عالما آخر من عوالم أخرى كان عقلي المريض يفكر ويحلم، يطمس نفسه فيها لأعوام. بعد سفر طويل استغرق ٨ ساعات بالسيارة، لمست ساقاي أرض المنزل عن عناء طويل أحل بي، وقفت لأفحص وأنظر إلى المنزل الفاخر الذي بُعِث الهوس بغاية الجنون فتهت في أدراجه مفكرا.

هذا لا يكفي فقط لقد جال عقلي أكثر أن أفكر وأن أصعد عبر فناء المنزل المؤدي الى باب الحوش الواسع المُتفرّع منه غرفتين، غرفة المطبخ، غرفة الخدم عند الجهة المجاورة للجلسة الخارجية يحوطها النخل وبهاء المنظر الذي بدا يروق لي كل ثانية.

منذ وصلت كنا في منتصف الليل وأخذني سبات عميق. المنزل من الداخل يحتاج إلى نظافة كاملة؛ صحوت من نومي أسلني وأردد: كيف لحالي أن أقوم بتنظيف المنزل كاملا لحالي؟! كففت عن أسئلتي المتكررة التي لا جواب لي عنها ماذا سَيُخلّص حيّرتي اندفعت إلى السائق وطرأ بعقله سؤالي الذي انبعث مني إليه : هل سأنظّف المنزل وحدي؟!.

لـوّح بيديـه ثـم قـال: هنـاك مجموعـة مـن الهـاوس كبـنج التـابعين لفنـدق سـوف يـأتون لنظافـة المنـزل. لقـد غمـر قلبـي ذلـك الشـعور الـذي قلّـصَ عـن كاهلي أحمال وأعباء كثيرة.

كنـت أتـابع معهـم وأسـتغرق معهـم الوقـت سـاعة ، كـونهم كـانوا خمـس رجـال لتـوّهم انتهـوا المكـان بـدا فـي زهـوهِ.، رحـت أنكـبّ علـى مـذكرتي بـركنٍ هـادئ بغرفـة المكتـب استشـعرت بـه للوهلـة الأولـى هـدوء وعمـق آخـر شـرعت أمسـك بـالقلم أدون اليوميـات، لكـن كعـادتي بـدأ أن ينسـاق عقلي المنخرط بتحلله أكثر عن كيف وكيف؟ .

مـا هـي الخيـوط ؟ مـا المكنـون ؟ مـا المخفـي عنـي؟ مـا الـذي ينتظرنـي فـي بداية درب جديد؟ ما الذي سيبدو غامض لي؟!.

كانـت شـمس العصـر تنبثـق مـن خلـف نوافـذ الزجـاج عـن رؤيـة الضـباب الـذي يسـير يحمـل معـه الريـاح الرطوبـة البـاردة القارسـة، تجهـزت وأنـوي علـى الخـروج قلـيلا، لا سـيارة فـي حـوزت البيـت، ولـيس لـدي أي علاقـات اجتماعيـة هنـا، لـم أجمّـع أي علاقـة أو أحـديث تـدور بينـي وبـين شـخص مـن مُـلاك هـذه المنـازل؛ حتّمـتُ علـى ذاتـي ألاَّ أشـرح لأي شـخص عن أوضاعي هنا.

ضـغطتُ علـى مـزلاج البـاب انفـتح هـوت نسـمة هـواء بـاردة مـع صـوت شـهيقي وزفيـري استنشـقت نسـمات الهـواء البـاردة مـلء رئتـاي تعمّـدت أن أخـرج مهمـا يكـن، لكـن عـن خـروج جعلنـي لـم أدرك الورقـة التـي دوّنتها أكثر من جيب البنطلون ثم سقطت.

فـي خلـوة ليلـة الخمـيس فـي الثامنـة مسـاءً، فـي الطـابق الثـاني جلسـتُ أشـاهد التلفـاز عـن مـزاج لا يـروق لـي لأوقـف اسـتكمال التمريـر عبـر الريمـوت، أفرغـت علـى السـطور الجـزء الـذي تبقـى سـمعت وطء أقـدام تمـر عبـر فنـاء المنـزل تفحصـت بنظـري عبـر نافـذة البلكـون شـاهدت سـيارة تنبعـث منها موسيقى صاخبة، باب السيارة مفتوح

سرت أسل من أين آتوا بهذه الجراءة، ليتسللا إحداهن إلى المنزل من هم؟!. هرعت نزولا إلى الدرج وقلبي ينبض سائلا ذاتي كيف عبروا من جهة الأمن مرورًا إليَّ مباشرة؟ تحركت ببطء حتى لا يسمعا صوت قدماي.

فوضعت إحداهن شالها على النخلة أمام باب الفيلا، سرعان ما ترقبتها ثم كشفتها بنظري لقد سمحت لنفسي أفكّر وأقول: هل هنّ من بائعات الهوى؟!.

فأسرعوا إلى السيارة خرجت أتفحصهم خرجت إحداهن مرّة أخرى كي تبرر وتبرهن لي ما كان حدث اتسَعت عيناها ترسل لي ابتسامة ماكرة: عذرا يبدوا جئنا خطأ همست بسري: جئتم بالخطأ!!!. ثم سمعت صوت ممزوج كادَ أن يخترق آذناي

نبعث لك أخي اعتذارنا. لكن نظراتي التي اختلستها إليهن فجعتني. كانت كاميرا المنزل التي بجانب منزلي تعمل وترصد الطريق من جهتي ترصد الطريق . اضطررت أن أصرفهم ولم أُرِد أن أتناول أيَّ مبررات خوفًا على ذاتي. عندما اتّجهت السيارة سرت أسير متوجلًا ورائهم متجها إلى جهة الآمن.

قد استنتجت أن لوحة السيارة تم تدوينها هذا بالفعل مما لا شك به. ربما جئنَ عن طريق الخطأ إنّها أشياء ثانوية كلها ولا داعي أن لإثارة فوضى، إنني لا أحب ذلك لم أذهب إلى هناك كي أقدم بلاغ ضدهن، لكنني كنت أدردش قليلا مع حارس الأمن لم يكن لديه أي معلومات عنهن قال لي: لقد آتوا إلى زيارة شقة ٥٤... قلت يمكن أن يكون هذا خطأ طرأ. ثم عدت إلى منزل كان قد أنتاب عقلي نوبة من الصداع التي تكاد أن تفتك به. عدت أتحامل على ساقاي قليلا، من شدة الصداع الممزوج بضوضاء رأسي. دخلت إلى المنزل كدت أبحث عن أي شيء.

أركلني به على رأسي حتى أُهدّئ من صداعي ودواري قليلا، انطرحت على الأريكة بالجلسة الثانية في الطابق الأول، بملابسي الخفيفة دون غطاء، كنت أفكر لحظتها كيف تكمن الرحمة بين الناس؟

كنت أهمس أين الحب الإلهي في قلوب الناس، آخذني سبات عميق شديد بحلم انغمرت بداخله وأنا صحو قليلا؛ حيث الراحة التي سرت في صدري تلتها حرارة شديدة ولّعتني صار ينسدل من وجنتاي عرق غزير، يبدوا أني تخيلت عقارب الساعة تمضي بسرعة، في فؤادي هدوء دقاته انتابتني خلالها قشعريرة شديدة.

وجهي يهتز قليلا العرق مازال يتساقط ريقي أصبح جاف تمنّيتُ في هذه اللحظة أن يُلبَّى لي أحد شربة ماء تسقي فروع جسدي.

أحاول أتذكر كيف لون المياه، مذاقها لو أرشف قطرة واحدة؛ كنت أدعوا الله وأنا أتنهد أن أنعم بنومٍ هانئ، أن أصحو أعرف كيف مظهر النهار، حتى أستقبل يوم جديد وأدعُه تاليًا صلواتي راكعًا بين يدي ربي أتضرع إليه وأحمده أنني لم يمسّني من ضر.

صحوتُ من نومي بعيون متأهبة محمرة، أحاول في أخذ شهيق وزفير أخرّج من أنفي الهواء ليستعيد قلبي نبضاته و توازنه، خيالي ذاهبًا بحلم ليلة أمس حاولت ألملم بعض من حلُمي واتذكر ما مرق، لكنني بدوت مشتتًّا تمامًا تعثرت أحمل القلم أدون في مذكرتي.

ليلة الخميس...

ليلة الخميس من الليالي المزدحمة بين ضجيج وبين ضوضاء، وبين معرفة إرادة السر داخل المنطقة ماذا يجري هناك؟... أملاك لأصحابها لكنهم رغما عنهم وعن أي شخص يريدون العبور إلى الداخل عقولهن تحتّم عليهن ذلك أعتقد أنهم سيصابون بفضول قاتل لا شفاء منه إذا لم يجوبون المكان.

درج منزل الفيلا من الأحجار ذا المنظر الخلاّب الذي يُفتِن عقلك من الأسفل مرورا لأعلى مطلي بألوان مرصّعة باللون الذهبي الممتزج باللون الاحمر حول إضاءات من اللون الأصفر بين كل عتبة درج.

للوهلة الاولى كل المارة في محض الصدفة يُغتصب عقولهم، عن تطلُّعهم لجمال المظهر؛ أول سؤال يخطفهم يتطرقن إليه: إلى من؟ ومن رب المنزل؟ يكتفين بالتقاط صورة. هل صورة واحدة تكفي للمغادرة؟. يحلفن ألاّ يغادرن إلا إذا تصعّدنَ إلى المنزل.

بدأت اتأقلم قليلا لكن قلمي يخط عني ضوضاء كثيرا صاخبًا، كلمات إن لم تُكتب تقتل تخنق تكبتني رغم ما أحلّ عليَّ؛ لذلك دوّنتُ بصخب أحتاج فقط ألاَّ أحلل في كل ذاتِ وقت أريد معجزة برجاء من الله الجليل أن يوقف تفكيري.

من حين إلى أخر أستنتج قليلا بأنها مجرد حالات ثانوية استثنائية تقتحم المكان لذات النظرة الأولى بدواعي الفضول لكن ليس من العادي اقتحام المنزل عبورًا لمعرفة ما يدور بداخل المنزل!.

في يوم عشرة من أكتوبر

لألفان خمس وعشرون

كنت ثابت على بصيرتي عالما ببواطن الأمور في هدوء سائد عدت أدراجي لتلك الحلم؛ صحيح كنت أقول بيني وبين نفسي: من هم الذين يسابقونني في الحلم؟ ماذا يريدون؟ من هم؟ هل جئن لمراقبتي؟ هل جئن ليتسلّطن عليَّ ما القصة؟.

كان الوقت والتاريخ الذي دونتهما يشعرنني بحدث.

ما الدوافع على الاقل لأحلم بهم وأظل أنتظرهم؟. وأظل أكرر هل سيعودون هؤلاء المجرمين في نظري؟ ثم يتحقق الحلم ويصبح حقيقة.

كررت ما الدوافع الذي يجعل اثنان يافعان في حكمي بالمجرمين يتسللن إلى باب المنزل؟ بخلوة ليل وأنا غارق في نومي، يقسمن بالله

ألاّ يغـــادرن دون أن يتفحّصـــن ويتبـــيّنَ مـــن بالـــداخل؟! إنـــه إنســـان بســـيط يسترزق!.

لكننـــي كنـــت بـــدهاء شـــديد لا تمـــرق عـــن عقلـــي كـــل ملاحظـــة ولـــو صـــغيرة وطئـــت أقـــدامي أرض المنـــزل جميـــع زجـــاج الجلســـة الأولـــى يجعلنـــي أشـــاهد المنـــازل المجـــاورة والـــرؤى الزاهيـــة للأشـــجار والنخـــل والبحيـــرات، وعبـــور الســـيارات فـــي مشـــهد بعيـــد كـــل البعـــد عـــن نـــاظريَّ. أرســـلت شـــكوى للمشـــرفين المقيمـــين بالفنـــدق أن يرســـلن لـــي عامـــل نجـــار جـــاء يحكـــم الأبـــواب يغلقهـــا عبـــر مســـامير قـــام بدسّـــها أســـفل، الأبـــواب تـــم إحكامهـــا، وقتهـــا انتـــابني شـــعور بالراحـــة غمـــرَ قلبـــي أراحنـــي ... لا يمكـــن مجـــددًا لأحـــد أن يحـــرّك الأبـــواب الزجاجيـــة للعبـــور مـــن نوافـــذ المنـــزل إلـــى شـــرفة الجلســـة؛ المـــزلاج الأول والثـــاني كـــان بـــه عطـــل، هنـــا لـــو تمكّـــن لـــص مـــا مـــن كسر الزجاج، لن يجسر على ذلك إن تجرّأ سيقع في قبضة الشرطة.

* * * *

ممنوع الاقتراب

اليوميات الثالثة

في التاسعة والنصف عندما أسدل الليل ستاره والأجواء باردة، فتحت الباب أرقب تلك الاجواء التي تُجمِد الدم في العروق. إنَّ جسدك يكون محصّن تماما عندما ترتدي خزانتك كاملةً؛ يداك وساقاك بأطرافها من أخمص قدمك كأنها ترسل إليك إشارات بشعور مريد كأنك مُذنب، أو راغب في شيء، أو تارك ذاتك تائه حائر.

يُمثِّل ذاك الشعور بحثك أنت عن مفقود الشعور، يجعلك ترتمي في أحضانه؛ فَتُقِر عليه ما تود أن تعبر به يفهمك بنظرة شخص يقرئك من جلسة شخص يربت على كتفك يرميك بكلمة تنهي عُقَدًا فيك تجلس على ذراعيه تُطلِعهُ على أسرارك، ومن ثم تعيد النظر تلقي بذاتك تجلدها عن خطيئتك بفصحك عن سرّك وينعتك ثم تقتل جزء منك وتلوذ بالصمت أمامه.

بمزاج منقلب متقلّب أمسكت الريموت أشعلت التلفاز؛ أبحث عن شيء قنوات الطب كثيرة علّي أستنتج شيء ينمُّ عن حالتي التي لا أفهم لها جدوى سببا - من لي يعولني هنا ويرأف بي غير أنني وحيد؟!- أغلقت التلفاز استدرت قليلا للوراء كررت أن أخطو إلى غرفة المكتب كانت المذكرة مفتوحة والصفحات تتحرك بصورة غير مُدرَكة ينبعث من النافذة هواء يُملّمِلُها وجسدي سرت داخله قشعريرة ورعشة شديدة، لم تلحظ عيناي في ثواني لا تعدُّ على الأنامل ما يحدث.

انتفضت مجددا لأصوات الرعد والبرق التي اخترقتا آذناي في حركة بطيئة كانت جميع أضواء المنزل ما بين استمرار متقطّع متواصل، أوحى لي شعور بأن اللوحات المُعلّقة تتحرك أيضا ببطء. ماذا يجري هنا في هذا المنزل؟ ماذا حلّ بي؟ ما عدتُ أفهم شيء!.

تحاملت على ذاتي ألملِمُني حيث إحساسي الذي فقد توازنه البتة بذعر أحلّ بي تغذّى عليَّ وقلبي الذي بدا في قدمي رحت أتحامل إلى غرفة الخدم أجلب غطاءً في محاولة أن أقفز على الأريكة في المجلس الثاني انشطر بجسدي وانسطح غطّيتُ سائر جسدي كاملا ورحت في سبات عميق.

صوت أنثوي يهمس بتكراره في نومي، يطن ويرتفع رقّة صوتها بمسامعي ملأني بدفء شملني بصدى متردد أتذكّرها جيدًا تعرف عني ما لا يمكن أن أعرفه عن ذاتي وأنا أقسم أنّ أي مشاعر من الماضي تشعرني بندم، صرت أتعذّب عذاب الضمير الذي يختلج قلبي يُؤلِمهُ يقذفه بجمرة يكاد يقتلعه من جذوره، . الصوت يتكرر بهمسه: مثل عاداتك ي جبان؛ تعودت أن تخرج من علاقة لأخرى؛ أنسيتَ تضحيتي إليك؟ هل حقًا ما عدت تتذكر هيئتي، ولا حتى ذكر اسمي؟! يا للهول منك لا منفد للهروب " يا عماد "!.

كانت " فريدة " مثل حبة عقار كانت تُسَكّن المرّ تبثُّ فيه الحلا. عرفتها قبل سفري؛ وفي أوقات كانا قد شرعا والداي بالزواج من فتاة سرعان ما تطوّرت العلاقة بيننا. رأيت الحياة فيها بألوان زاهية؛ حاولت جاهدًا أن أتركها وأخبرتها أن علاقتنا يجب أن تنتهي تمرّدت على مشاعري وأثارت ثورة بذواتها؛ المجنونة عندما أدليت إليها بكلماتي كانت تشبه السم الذي يسري في الجسد، كانت كلماتي لها كشخص أراد الانتحار عن عمد. صحيح كانت تستفرد بي أسئلة كثيرة - ما الوتيرة التي بعد ذلك سنسير عليها؟ ماذا ستقودنا دنيانا بعد ذلك؟!.

هل نرتكب جرم في حق أنفسنا؟!. أنا متزوج وهي تكبرني بسنتين. الحياة تمُدُّ لها ذراعيها تخجل منها تنحني أمام جمالا، وعيناها التي تشبه الغزلان تركع أمامها؛ وشعرها المسترسل اللامع الذي يغزوا الأوطان ... لا ينبغي أن نلوّث بعضنا وأنا أقسم انني لا أرغب في أن أرتكب حماقة أخرى.

لم أدرك أنني كنت في حلم بها صحوت من نومي شهقت وتنهدت. وجهها الناصع، أعينها مثل الغزلان، وطلّتها هيئتها التي لم تمحى من

عقلي تمدني إليها تسرقني تنتشلني مني ولا أعرف هاويَّتي لا أعرف كيف ولا أفهم كلما عانقها خيالي تحرقني، تجعل عواطفي تتقد.

أرى دواخلي تعتمل في صراخ انهيار يعقبه عصيان كأنني مهما رأيت نساء لن أرى إلّا هي، فيها سرّ غريب قادر على أن يملُكني تجعل في ذاتي شخص لا أعرفه فيها هاويته، روحها موطنه، غير كل الذي سكنتهم باسم زيف الحب؛ من بعد ما تزوجت، أقسم أنها لا زالت تسكن عقلي. عقلي قد جن، حاولت أن اتأقلم لسنوات جمّة حاولت التغيير لم أستطع.

عن ولاء احترمت زوجتي ، إنّ والداها قبلوا إعطائي إياها ابنتهم كريمتهم في شرع الله، عندما كنت تَعس كانت تقف جانبي تمسك معي زمام أموري تُرمم تعاستي تخشى ما عليها تبنيها تُشيّدها؛ إن وجَدَتني صامت ترمقني بنظرات تفهمني دون أن أطلق حرف دون أن يتحرك لساني.

تدنو تجلس قبالة وجهي تتحسس بيديها الرقيقة وجنتاي فأهرب أستشعر شعور أن هذا ملجأي بعد الله ، أحاول أن أهرب من " فريدة " تسكُن خيالي لكن لم أفشل أبدا أن أهرب مني لزوجتي ـ أترك ماضيَّ يغرق في بحور إحسانها إليّ ما ذنب حبها البريء لي؟! هل ثمن مجازفتها إليّ خيانتي إليها؟!.

في الثانية عشر ظهرا الشمس تشع من خلف النوافذ التي كادت أن تخترق عيناي وتحرقها، مما تسببت لي زغللة؛ قمت من الأريكة بهيئة فوضوية ألوكُ عيناي، تحممت أرتدي ملابسي في عجلة أُحضِّر حاجياتي الكثير من ملابسي، مستحضراتي الشخصية مذكرتي نسخة أخرى من مفتاح المنزل دسستها في جيبي؛ استغرقت ساعة في تنظيف المنزل كاملًا.

دنوت إلى باب المنزل فتحته، وقفت في الباحة أنظر يمنى ويسرى وإذ بعبور سيارتان، وفقًا لتعليمات السيد المدير سلّمت لسائقهم نسخة من مفتاح المنزل في دقائق، جاء سائقنا ليقتادني إلى شقة إيجار.

الشـــقة الإيجـــار لا تبعـــد عـــن منـــزل عملـــي بمســـاقة ضـــئيلة، والرجـــوع إليـــه بمســـافة قليلـــة جـــدًا لـــو كانـــت بســـيارة تســـتغرق أربـــع دقـــائق. عنـــدما وطئـــت أقـــدامي درج البنايـــة حملـــت حقـــائبي لأصـــعد وأتســـلّم مفتـــاح " شـــقة عشـــرة ". بـــدلت ملابســـي فـــي عجلـــة انســـطحت علـــى الفـــراش افـــتح المـــذكرة علـــى الســـطور الفارغـــة مســـكت بـــالقلم شـــعرت إصـــبعي يهتـــز صـــدى همـــس بـــأذني ... كلمة " مشفى وأخرى " المنزل ".

وكـــان خيـــالي فـــي درجـــة غليـــان، يغـــوص حيـــث وجـــدتُّ ذاتـــي بمشـــفى بـــين الممرضـــين والممرضـــات؛ ملقـــي علـــى ســـرير صـــغير بعنبـــر ثلاثـــة. الأدهـــى كلهـــن بهيئـــة "فريـــدة " وجمالهـــا الفتّـــاك ورائحـــة عطرهـــا الفـــاجر، يـــولّينَ وجُههـــنَ إلـــيّ؛ شـــهقت فجـــأةً وقـــع القلـــم مـــن يـــدي وتحسســـت وجهـــي لعـــلّ الله يفرّج عني ما أنا فيه.

* * * *

مشفى الطب النفسي

عنبر ٣

غادر السائق قررت وفقا لما حدث بمخيّلَتي أن أخطو إلى مشفى الطب النفسي، والصحة النفسية. عجلتي عن عمد أنسَتني مذكرتي عن خطأ لن أغفره لذاتي، في ذات الوقت وجدت حارس البناية يحمل أكياس نفايات سوداء يعبُّ داخلها المخلفات المتواجدة بالمطبخ عن فوضاي، رمقته بنظرة قلق تجاه المذكرة. جاء سائق أوبر حددت موعد معه ليصحبني الى المشفى بالمشفى كلُّهُن يحملن ببواطنهم اسرار. فكرة كانت تساورني تداهمني تنسيني ما جئت به إلى هنا. خيالي المريض يحدِّثُني- ماذا لو كتبت عن كل رجل منهم؟ ماذا لو كنت أستطع أن أفُسِّر وأفتش وأحمل شكواهم هن حكايتهم وأسردها بمفكرتي و كل ما بدواخلهم من أفكار أسرار؟ من يقدرن على البوح، وما لا يقدرن على البوح به؛ كونهم يحملن حكايات كثيرة أولها عندما يئنُّ المريض متوجعًا يشكو " آه " إن هذه الكلمة تحمل الكثير. وقفت أرمق المرضى الجمع بالعنبر بشرود ذهن ثقيل شعرت بالدوار وبالاختناق.

لأجد صفعة وقعها على كتفي واستدرت بفزع شديد أجد الطبيب يحدثني بعد أن لفظت أنفاسي حتى شاءت استقامتها: أستاذ " عماد أمين " هل أنا مخطئ؟. حركت ثغري عن ابتسامة مصطنعة وجهي الذي شحب. وقلت: نعم أيها الطبيب.

ظل يتفحصني بنظراته ثم حمل عني عناء كبير وكلفة في مقابلتي له، طلب مني أرافقه بالدخول إلى غرفة العيادة بالمشفى؛ جلست على الأريكة. ثبّتَ عيناه بعيني وابتسم قال: صف لي حالتك ي أستاذ « عماد » صمتٌ برهة واجتاحت عيناي شررَه توقد بعيني نيران ... شعور ما حرّكني أحرَقني ... المذكرة التي تحترق جسدي الذي شاء ينتفض عيناي أصبحت بيضاء؛ الطبيب انصعق وقف من كرسيه ليبتعد قليلا انتزع نظارته وجسده يرتعش. من جديد أتاه شعور ربما شيء وخزه لكزه، ربما وخزته إبره غُرِست في لحم يده التي تجرّأت

في مسّ كتفي بجراءة عند مقابلتي به- أكان يفكر في جراءته على وضع يده بكتفي؟!.

بِتُ ليلة واحدة في غرفة المشفى تحت إشراف رعايته كان من كل حين وآخر يطلُّ إليَّ ويمضي بين المرضى. أفقت قليلا أتمتم كفاقدي الذاكرة، ما الذي كان يحدث معي؟! الهاتف يعج بالاتصالات العديدة من مستأجري المنزل، بقلق تفحصت جيب بنطلوني المفتاحان مكانهما مفتاح شقة البناية، ونسخة الثانية من مفتاح المنزل؛ وجدت رسالة نصيّة في فحواها: *يجب أن تتسلّم المنزل.*

أدلف من الباب مرورا إلى كرسي مكتبه، يتطلّع إلي بعض ملفات المرضى، ينظر إليّ صارمًا مثبّت بصره إليّ، يهزّ رأسه إشفاقا على حالتي الميؤوس منها. ترك الملفات وألقاها من يده دنا قبالتي بمضجعي، ينتزع نظارته يعبث بلحيته الغزيرة نصفها ثبّتَ نظره مرة أخرى يرقبني حتى أيقنتُ أنّه ظل يفكر، ثم بأصبعه يلمس لحيته الخفيفة، نحى نظرة جانبية، اختلس نظرات كثيرة في معناها الكثير، عاودَ تكرارا ما يفعل. ما عدت أفهم من يبدأ أنا أم هوا.

بصمت رتيب أخبرني قائلا: " ميثومانيا! " .

قلت: ماذا لم أفهم.

عاد يقول: " ميثومانيا ". المقصود به: هوا مرض يصاب به الشخص يؤدي إلى اضطراب نفسي يعرف بالكذب المرضي " الهوس الاسطوري " ، اختلاق قصص خيالية يمكن أن تتبناها وتضفي عليها أكثر. وافقته على نصف ما قاله، وشرحت له أن العديد من المواقف حدثت معي ولم يكن خيالي شرحت له أن أشياء كنت أفكر فيها كانت تحدث.

سرعان ما طرأ بعقلي سؤاله الذي كان بدا لي نوعا من اللامبالاة. يسلني إن كان لي علاقات عاطفية. سؤاله يمكّنني أن لا أتحدث

لآن علاقتي " بفريدة " ليست بجروح طفيفة لا يمكنني التعافي منها إنّها كالسم تسكن في حنايا صدري.

صحيح أنني لن يمكنني الهروب منها الا بالموت. عندما تحدّثت معه أجتاح قلبي شعور بالارتياح اندفعت لأسل الطبيب: هل يمكنني أن أتعافى؟!.

ازاح نظارته قليلا وأنا أضم يداي على صدري ناظرا في سقف الغرفة اغرورقت دموعي تناثرت قليلا على وجنتاي مسك بقلمه يخطُّ على سطور مفكرته بعض مما قد استطاع أن يحلله عن حالتي، قال: لماذا القلق يا أستاذ " عماد " لماذا انت قلق من أي شيء تهرب؟!.

قلت له: صدقني لو كنت أعرف عن إجابة هذا السؤال، ما كانت انقلبت حياتي هكذا. فوقف ممتعض الوجه ينددفع صائحا: لكن لماذا كذبت على نفسك كثيرا؟! لماذا شئت بالرفض عن إحراجك دومًا؟.

ما زلت غارق بالماضي أتخيل كل جزء صغير كل ركن كل ركله تهز جسدي، كل لكمة، كل جرح لأتلقى على مسامعي: استيقظ!. فزعق: أستاذ " عماد " أنت لا تساعد ذاتك كثيرا أنت هنا في برنامج علاجي سلوكي لكنني سوف أرأف بحالتك، إن كنت لا ترغب في الحديث، سوف أصف لك بعض الدواء المهدّئ معذرة يمكنك أن تنصرف الآن لكن لابُدَّ من جلسة ثانية.

نهضت من مضجعي في حالة لا تروق لي كان قد كتب لي الوصفة الدوائية، مدَّ يده يعطيني الورقة، وأنا تائه أحلم بالنوم، أحلم بأن أستند إلى الفراش، أحلم أعود إلى الشقة حملت الهاتف المحمول أدق على سائق الأوبر في غضون الخمس دقائق، يصل إليَّ ليتفاجأ بعدم قدرتي على فتح باب السيارة، برأفة منه يفتح بابه ليساعدني يقول بغرابة: ماذا

بـك يـا أسـتاذ؟!. ارتكـزت علـى المقعـد منسـطح بعيـون مشـوّبة تشـبه ضـباب أمامي يشبه السُحُب بيضاء.

عنـد وصـولي قـد أفقـت قلـيلا نـزل السـائق مـن السـيارة ليخرجنـي رفضـت عـن امتنـاني لـه بـوافر الشـكر، نزلـت مـن السـيارة صـعودا إلـى الطـابق الثالـث فـي البنايـة أخطـو درج البنايـة درجـة عقـب درجـة، أتحسـس جيبـي عـن مفتـاح الشـقة، أجـد بـاب الشـقة مـوارب قلـيلا هرولـت سـريعا، وجـدت الحـارس منطـرح علـى الأرض يهتـز جسـده عـن نوبـة هيسـتيرية ألمّـت بـه تصعقه باستمرار بانتفاضة متتابعة على يمينه المذكرة التي تفحّمت.

جثـوت علـى ركبتـاي والصـقت ظهـري بالحـائط المـت بكـي نوبـة بكـاء غايـة فـي النشـوة، ارتحـت مـلء روحـي جسـدي عبـرت فـي سـريرته ريـاح الحيـاة براحتيَهـا؛ قمـت منـدفع أنـادي علـى العـاملين القـائمين فـي البنايـة صـعدَ المشـرف يـرى بعينـين مـروّعين قـد جحظتـا حمـل الهـاتف المحمـول ليتصل " بالإسعاف "

عقـب وصـول سـيارة الاسـعاف فـي عنـاء اثنتانـا قمنـا بحمـل الحـارس نـزولاً إلـى الـدرج، وألقينـا بـه علـى النقالـة الطبيـة، أسـرعت السـيارة إلـى المشـفى آنـذاك قـد سـلّمت المفتـاح، وصـعدت ألملـم حاجيـاتي بسـرعة أجريتُ اتصالاً بسائق المنزل حتى أعد أدراجي إلى حيث ما جئت.

الهـاتف المحمـول فـي رنـان مسـتمر، أحضـرت حقـائبي ثـم نزلـت بهـا علـى مهـل وجـاء السـائق وقـادني إلـى المنـزل عـدت إلـى المنـزل، غـزا قلبـي شعور غمرني بالسعادة. بطرف عيني التقطت عبارة

« أحبـك » المطبوعـة بـأحمر الشـفاه علـى مـرآة تسـريحة غرفـة الخزانـة بالطـابق الثـاني. لا أعلـم كيـف كانـت هـذه العبـارة وإلـى مـن؟. ومـضَ الهاتف عن رسالة عبر بريدي الإلكتروني.

وجدت حساب مستعار باسم "FA " تاركًا لي رسالة مضمونها.

سأبحث عنك في كل الطرُق

سأجدك من حيث جئت

سأنتظرك عند كل مفرق.

يا عماد لقد كُتِبَ عليك الشقاء

وشقاؤك أنا، غلبة عقلك أنا، في الرؤى وفي أحلامك

في أحلامك لي، لي أنت وحدي، وكنت وعدي ..... بهذه السهولة قدِرتَ على تركي؟!ا

أحبك! يا جبان.

المنزل مثل ما غادرته كل شيء كان بموضعه نظيف تماما رحت أضفي لمسة فنية عن أجوائي التي أعشقها وأقدسها.

الشموع الدانتيل والاضاءة الخافتة الورود ملء المكان، رائحة العبق التي أضفت على أحاسيسي الضائعة الغائبة عني عمدا، استنشقت من الرائحة ملء روحي.

أنني كنت ذاتها المفتقد تخلصت من خيالاتي الناجمة، لكنني لم اتعافى منها أنها تعيش لم تمت تسكن الفكر والوجدان عالم ليس من حقي لكن لا بأس من أخلق عالم جديد لي وإذ بي وجدتُّها في بهرجتها تطأ بأقدامها درج المنزل، أطلّت بوجهها الأبيض الناصع المُشع وشعرها الكستنائي الناعم المسترسل وأعينها الصافية كالسماء مثل الغزلان، وبفستانها القصير الذي برز جزء من سيقانها تتمخطر على أرض المنزل تؤشر لي بأصبعها تتسع حدقتا عيناي إليها وإذ بي أجدها قد اندثرت تبخرت وما عدت أصدق غير مدركا ما اعدت أفهم هل أنا بالواقع أم الخيال.

انتهت اليوميات . (المملكة العربية السعودية – أبها ٢٠٢٥)

نسخة لم يعتاد عليها

وعكة صحية واحدة ستُنبئُك

بحجم ما تمارسه من ترف

في حياتك.

كلمات كنت دائما أقرأها اتفكّر فيها لا أعني ما في سياقها؛ لكن زحام من النعم يمطر زخات على حياتي كرم الله ومنّهِ عليَّ. أوّلُها عائلتي حولي بالدعم والامتنان؛ كنت أعمل وأجتهد درست في جامعة الهندسة اسمي « شمس البر ديسي » في عمري المتأهّب ولد لاب وأم شرقيين صعاب صارمين- بنت تزوّجت في صعيد مصر. عشت مع زملائي أعدُّ على أصابعي اثنان منهم ... رفقائي خلقوا من خلفي عالم يحلّقون فيه أخصُّ الأول بثَّ لي مؤامرة؛ الآخر قدّم لي مؤازرة.

في شقة إيجار بالقرب من جامعة الهندسة بالقاهرة تجمّعنا؛ الآخرين سابحين في دنياهم طامسين عقولهم في أحلامهم... تُرى ما الذي آخذَ تفكيري يُفتّش يُخمّن سائلا ذاتي عن أحلامهم التي جعلتهم غارقين مفلّتين عقولهم بتفسير سلوك الأخرين عن أعماقهم وما يدور في خلدهم عن من حولهم؛ بمسكن صغير مثل هذا هم مع أنفُسهم ولأنفسِهم- هم ليسا استشاريين نفسيين.

الأول تآمرَ عليَّ فكّرَ لأعوام مريرة ساعيًا بكلل أن يمحق حياتي لعدم أسباب مُتيقنا عدم حبه لذاته، أعطيته أكثر من حقه كبّرته حجما في عينه وشخصيته المهتزة تتأرجح عن خلل واضح لي ... رغم نبأ عن يقين بغاية شديدة في كرهه لي- وصوتي، وكلماتي واشاراتي، وضحكاتي، انفعالاتي توحي بجروح تصبح واضحة تبرز وتظهر ما

أريد إخفائه، تفضحني أمام جُلّ من يتكلم معي ليتراقص على جراحي هذه أسوء نقاط ضعفي؛ تُبدأ مكتوبة على وجهي لا منطوقة دون تلميح بسخافات وخرافات واختلاق قصص ... كل شيء واضح دون التظاهر بالصمت.

وقفَ بعنجهية قالها « أرجوكم لا أحد يُحدث فوضى- الفوضى تسري في العقل الغير واعي » ومضى يهزأ بمن معه يعبث بوجهه يُطلق ضحكات ساخرة. لم أستطع أن أضعه في سلّة مهملاتي باعتباري حاسوبه الشخصي المستند إليه والمُتّكأ عليه لم يفهم لم يوقن، لكن إلى أيّ مدى؟!. قلت له دفعات من أقاويلي حول ما يكنّه لي وأنا أيضا محاولا أن أحسم، تعثّرت تعوّدت مُتأقلما على تدبير مصائبه لي كان إنسان ماجن على حياتي يطاردني. الآخر هادئ مثلي لا يكترث لمعاني عدة إحداها لا شيء يقدر أن يُعطّل أحلامنا يقدم لي النصح شتّى، يربت على كتفي يخبرني باسمًا أن غدًا أفضل؛ ثم نتناول مع بعضنا الطعام في خلوة دون أن يرانا رفيقنا الأول نخرج معًا نسل بعضنا عن بعض مما قد شُرِح لنا بالمحاضرات يستغرق منّا جهدنا الكثير عن نفسينا بالمذاكرة ... نحن غير كاملين لكن أرتاح إليه لأنه لا ينافق، يقطن بمنزل مع عائلته المكافحة المرموقة، والده يعمل في مصنع النسيج ووالدته دكتورة تُحضّر ماجستير.

غادرَ الجمع الشقة جلست بمفردي غاصَ خيالي بذكريات الطفولة بعضها يجعلني أفسر ما هذا الهراء الذي يجعلنا خاملين في فوضى حتمية في تيه أبدي؛ ويكأن الحياة لا تخصُّنا بشيء ونحن نمر من أمامها غير عابئين مكترثين نرى الحلال والحرام وليس في استطاعتنا الكاملة التميّز- نسير في دروب الحيرة والضلال.

الانسان يكبر ينضج، يحاول في أن يسير على مهد ونهج نجاحاته بين التعثر والفشل يمشي مسرورًا وتارة مغتبطا. عشت حياة من الترف والداي اللائي لم يُفلتن يداهم عن ولدهم.

كان يمكنني إقامة مشروع ناجح، شراء سيارة، السفر إلى أوروبا، استثمار ما جنيته في فترة قليلة عن عمل أقبلت عليه رغم عدم حاجتي إليه.

تركت أحلامي بعضها على قيد التنفيذ لم أعبأ بها- هيّئتي باهتة أشعر أني أعيش في الضباب لون وجهي شاحب كلما أتمعن في هيئتي غير عالم ولا عابئ ما أوصلني إلى تلك النقطة؛ أشعر أن أحلامي تتقهقر ببطء نومي غير جيد اعتدت السهر اللعين تركيزي أصبح يهبط، أشعر بخلل في أنظمة عقلي مغلقة شيئا بشيء؛ اعتدت الميديا حيث عقلي الذي تعفن.

عقب مغادرتهم تركت مذاكرتي ومراجعة محاضرة الغد خيالي يهمّشني عن مذاكرتي بأحلامي وأفكاري- ينقلني إلى عالم منحدر أسفل قاع قذر؛ ارتدت المرئيات المخلة عن صور خليعة؛ كنت بسابق عهدي شمعة موقدة شغف ينطلق كبطل خارق يسير وفق معنوياته وفق أفكاره المزدهرة المنتعشة عقل مضاء وأفكار تغلي؛ انطفأت الشمعة وانكفأت فسالت أحزاني أهذا الذي توصّلت إليه؛ إن أحداث الطفولة التي تبدو لي بريئة اطفأت شمعة الحاضر أحرقتها كاملا وردمت جزء من الحاضر.

عائلتي تراسلني وعزمت أن لا أرد عن آلام حصرت جسدي من فروعه، وعدم مقدرة ضميري يتلو أصوات عن عذاب قلب أمي الذي يُمزِقها، ندم شديد يتملّكني عن إحساسي، استجبت بدفعة رسائل صوتية أطمئنهم وهناك غُصة داخلي ربما تنفرج اساريري وينشرح قلبي لهم كم صرخت وبكيت.

من كل وقت أجلس مع رفيقي الثاني في الشقة، والأول حالفًا أن لا يدَعني وشأني يقصدني في ذكره لي ساخرًا مني فأضطر بالفرار من وجهه وهيئته اللعينة... عن تفكير شيطاني نزلت الشارع ابتاع من كشك علبة سجائر؛ التدخين كنت أمقت رائحته ورائحة من يدخنه ورائحة افواههم وهيئة أسنانهم الصفراء. صعدت إلى الشقة في سكون وهدوء في غيابهم اختلست سيجارة تلو أخرى تلو أخرى أشعلت

واشتعلت حتى طافَ عقلي في ما لم أتوقعه، حالتي تسوء مداركها، كل مدى أُدفِن ذاتي عن نسخة مفتقدها غائبة.

غادرت المنزل عازمًا أن أُفتِش عن نسخة أخرى غير التي لم أرتادها لم أعتاد عليها تاركًا خلفي جامعتي ورفقائي والشقة، فشاء يبحثون عني في أحياء المدينة ؛ ظللت على هذا الحال عدة أشهر رغم ما وضعته في حسباني أنني سوف أخسر شهادة جامعتي في آخر سنة لي الامتحانات كان يتبقى عليها شهرين؛ رُحت وكلي إيمان رغم شرر أفكاري وشيطاني الذي كان ينحرني يوسوس لي بمراده مني عن صوت ملائكي يمدني بالبحث عن الله في حياتي وأعرف من هوا الله حق المعرفة وأغسل عار أفكاري وأتدبر واتضرع إليه وأبحر في عجيب صنع الله وكيف أرى وأيقن أن الله معنا أتوب إليه وأرنوا إليه حتى أعود شخصا غير الذي أنا عليه.

ضغطة زناد

في حضرته لابُدَّ من طقوس خاصة به، يعرفها خدمه وأرباب عملهِ، يجلس يقفن يشاهدن في صمت رتيب، كيف الصمت في حضرته جمالًا؛ يعشق الفن يُقدّسه مكتبته المتكدسة جلّها ما بين الأدب، التاريخ، والدواوين الشعرية، وكتب النصوص الابداعية جوانب أخرى جعلته يتوارى عن حياة مقيدة مع أرباب عمله يحملن أسارير بدواخلهم. محمود بيه الغريب بوجهه المربع، وشعره الأسود الخفيف المتساوي التي تبرز من مقدمته خصلة بيضاء.

يهوى استماع القيثارة هذا يجعله يأمر خدمه يرسلن إليه "

« السعداوي » العازف الوجه القمحاوي الداكن العريض، المرتاد البذلة و السديري وشاربه الكث و كان ببدانته.

لا بأس أيضا من حينٍ لآخر بجلسة سرية يستأنس بها يُشرِف ويُعِدُّها

« يوسف كمال»

يوسف الذي يقيم السهرات حيث جلسة الأدب والعزف.

في لندن أجواء زاهية منتعشة أجواء حيوية تضفي على نظراتك تشعرك بحيرة لكن الحنين يؤنّبُك يُحيّرُكَ المغادرة إلى أم الدنيا " مصر " ومن مصر إلى " لندن ".

أقامت حرمه السيدة " ريمان " أسبوع كامل

بالغة من العمر الخامسة والثلاثون، شعرها الأصفر مسترسل بأناقتها المحصورة بفستان قماش لونه أزرق داكن أكمامه ظاهرة واضحة، وجهها نحيف قليلا يُظهِر نصاعته المشرقة ورشاقتها منخاران معتدلان جسد ممشوق يواكب صيحات الموضة.

إنها سيدة أعمال من الحين والاخر تغادر مصر إلى لندن شقيقتها تُقطن شارع " البكاديلي".

ولعها وشغلها الشاغل بالموضة والازياء عن حب جعلها تستكشف بذاتها فن صناعة تصميم، و تطريز الفساتين.

في العاشرة صباحا لندن " شارع البكاديلي " / منزل شقيقتها

تجلس الهانم على كرسي قرب المنضدة تزيح بيدها فستانها القماش المطرّز بنقش مزخرف؛ كتبت رسالة مفادها العودة إلى أم الدنيا في القريب، آنذاك ما يفصلها عن كتابة الرسالة زمن يوم واحد تبقي لتودّع شقيقتها؛ تحركت برتابة وبطء لإجراء مكالمة لترفع سماعة الهاتف في إخبار شغالتها الخاصة من الخدم ، على رأسهن " وجيدة " رئيسة الخدم؛ تظهر وجيدة وهيا فتاة في ريعان عمرها

السيدة ريمان: اذيك يا وجيدة طمنيِن عن سيدك " محمود بيه " يا ترى أي آخر أخبار القصر في غيابي ؟!.

شهقت عن ابتسامة منفرجة هائلة.

وجيدة : والله اشتقنالك يا هانم! كل شيء تمام وكل شيء مترتب زي ما أنتِ متعودة تشرِفي ورانا وتراجعي بنفسك ما وحشتك يش أم الدنيا؟.

السيدة ريمان : بكرا بمشيئة الله أكون موجودة في السرايا الساعة عشرة يا وجيدة

وجيدة: تيجي بالسلامة يا ست هانم القصر ينور بيكي!.

كلاهن يغلقن الخط ويضعن السماعة؛ بينما تقف وجيدة محدّقة في سقف غرفة الخدم بجانب المنضدة الموضوع أعلاها الهاتف نظرات مطوّلة وفكر شارد تفكر في الأفندي.

من الماضي

يمشي كلّن منهما على الكورنيش بينما يمسك بيدها ناظرًا إليها بقلب راضي تُنحّي نظراتها بيأس ويلحظ.

السعداوي : مالك يا وجيدة؟

وجيدة : أنا نفسي توفي بوعدك ليا يا سعداوي، قلت أنك حتيجي تطلبني من أهلي، بقى لزمتها أي سرحتنا دي كل يوم على الكورنيش، ده غير أنك عاطل، وقاعد من غير شغل طب ده يرضي من بس؟!.

السعداوي : طولي بالك عليا يا وجيدة، ربك يفرجها إن شاء الله، انتِ عارفة اني بدور على شغل ساعتها يا ست وجيدة نطلبك من ابوكِ.

تتحرك وجيدة إيابًا إلى غرفة الخدم لتجمعهم وتستوقفهم وتشرح إليهم بالتعليمات.

نظافة وترتيب غرفة الهانم

نظافة غرفة « محمود بيه » وتنذرهم بألاَّ شيء يسقط من أيديهم سوف يُخصَم من مرتباتهم!.

داخل القصر

الخدم.

آمر بأن تقيم مأدبة طعام لضيوفه.

بالمطبخ الكبير بمساحته الواسعة يتقدمن الخدم يترصصن بجانب بعضهن البعض، يُنهينّ الطعام الذي يحملهن في قدور يعددن ما لذَّ وطاب؛ في القدور المغطاة لحم البقر ولحم الدجاج، مرق اللحوم، يحضرن الصحون الفاخرة يضعنها على المناضد الخشبية ذات الدرجة الصغيرة بينما تذهب بعضهن لوضع القدور.

في الشرفة يجلس على الكرسي « أمجد مالك » واضعا ساق على الأخرى بجانب حرمه المصون تحسس يدها بابتسامة.

بينما «محمود بيه» كان باسمًا منفرجة شفتاه عن ابتسامة متفاخر بذاته وأرباب عمله.

محمود بيه: الجلسة غير شكل يا أمجد بيه أسعدت بوجودكم اليوم.

أمجد مالك: كلك ذوق ي محمود بيه بصراحة كلّفت على خاطرك أنت عارف معزّتكم أنت والهانم عندنا، مدامتي دايمًا كانت تكلّمني عنكم صراحة ذادني الفضول شرف أتعرف على سعادتك.

إيمان: صحيح يا محمود بيه أمال الهانم فين؟؛ أنا كدا مش محظوظ بلقائها كان ودي أسلّم عليها.

محمود بيه: كانت عند اختها في البكاديلي، الهانم شغوفة جدًا بالموضة والتفصيل والتطريز.

إيمان: اووه يا محمود بيه يبدو إن الهانم ذوقها الفني عالي.

محمود بيه: أمال يا هانم أنا محب للقراءة والكتابة أحيانا عندي موهبة قراءة الناس.

إيمان : مش ممكن تقرأ في علم النفس؟

محمود بيه : صراحة أنا اقرأ في التاريخ يبدو إن حضرتك ما صدفش إنك قراتي كتابات لابن كثير أو قصة الحضارة .... يا إيمان هانم قالها الطبيب المفكر الكاتب " مصطفى محمود " من يقرأ التاريخ لا يدخل اليأس قلبه.

تتبسم إيمان : صراحة القراءة جميلة.

يثبِّت نظراته بأعينها مقاطعا.

محمود بيه : وقراءة العيون دي موهبة عندي

سادت برهة من الصمت بين كلاهما يلتهمها بأعينه تتواصل نظراتها إليه غير عالمة ماذا تحمل تلك النظرات. رجل مثله ذا منصب عالي لديه من الاموال ما يأكلها الحطب تجعل العديد من النسوة تخضع له هل مثلها يُعصى أمرها عليه؟.

بدأ أن يلحظ أمجد أشياء لم يفهما من نظراته إليها، وتظاهر أمامهم آخذًا الأمور بنظرة ثانوية بحتة. رمقها بنظرة صارمة ليلحظ محمود وإذا بهِ يحرك إصبعه ضاغطًا على زر الجرس للعجلة بخدمة الضيافة، احمرّت وجنتاها لتعبث فكرة متحججة بأن خادمتها انصرفت بالآذن منها، وأن والدتها واهنة مريضة طريحة الفراش.

نظرَ إليها أمجد في غرابة شديدة وقفت إيمان ببطء لتتحرك بإصبعها كوب المياه المعبأ نصفه بحركة إصبع يسقط على المائدة الكبيرة.

وقالت بارتباك.

إيمان : انا متأسّفة بجد! يبدو إني نسيت معاد دوا ماما، أنت عارف يا أمجد الشغالة عند أهلها ما كنش في حسباني الأمر وقت ما جيت، متأسّفين يا محمود بيه.

ينظر لها أمجد تاركا ابتسامة مصطنعة .

وقال محمود الغريب حاسمًا قوله.

محمود بيه: لا لا يا هانم الأكل على شرفي، يعني لازم نتغدّى سوَ.

برزت عيناه من محجريهما، وجهه الذي انعكست هيئته، عن حرج ألمّ به.

سارا الخدم تحت إشراف جيدة، تتبعهم بذاتها يسكبن المرق واللحوم في الصحون والارز، والخضار المتنوع بالصحون المعكرونة بأصنافها، ترقب وجيدة الصحون بنظرات متتالية لتسحب الخدم بعيدا تأمرهم، بالانصراف إلى المطبخ.

ينظر في ساعته، ينتظر قدوم السعداوي و يوسف. نزل السعداوي من السيارة بقيثارته برفقة يوسف حاملًا أكياس سوداء داخلها زجاجات كثيرة، أدلفَ مباشرة إلي القصر تفاجأ بوجه وجيدة المطل أمامهما ينحي يوسف الاكياس عبورًا مكملًا سيره إلى غرفة المخزن اختلست نظرة ليوسف ونحّتها إلى السعداوي، لكن يوسف ظل شاردًا يفكر حيال تلك النظرات.

وجيدة : تأخّرت ليه يا أفندي أنتم مش عارفين إن في اللحظات دي لازم تكونوا موجودين مع البيه.

السعداوي : بسم الله خلاص يا وجيدة شوفي شغلك.

وجيدة : أي يا خويا شفت عفريت! طب ووعدك!

السعداوي: مش وقته الكلام ده يا وجيده!.

دخل السعداوي على مهل لحق به يوسف ناثرين بثغرهم ابتسامه ويداهم وراء ظهورهم تاركين السلام والتحية على البيه وضيوفه.

وقفَ يختلي بهم قابضًا على أيديهم.

وقال بصرامة.

محمود بيه : والله عال يا أفنديا ساعة تأخير!.

يقف يوسف الذي دوت الكلمة آذنيه بما لا يجسر على قوله.

السعداوي : أسف يا محمود بيه! .

تلقى عذره بينما نظر إلى يوسف الذي بدا شاردًا بذهنه.

رفع البيه حدة صوته متظاهرا بعكس ما يقول.

محمود بيه : أي يا يوسف الملفات فين؟.

هنا تتعقب من خلف الباب وجيدة دوى وقع الكلمات العالية.

: من غير ما حد يدرى من الخدم حطّتها في المخزن يا بيه

محمود بيه : كويس يا يوسف!.

يقفنّ بعيدا خلف الباب.

السعداوي : بقول أي يا يوسف

يوسف : ها

السعداوي : صحيح ملفات أي و مين اللي قاعد ده ... ومين الحرمة اللي جنبه دي.

يوسف : أنت صدّقت يا سعداوي ملفات أي يا راجل انت، دي حركة كده تمويه، وبعدين يا سيدي ده أمجد بيه مالك، وحرمه الست إيمان.

السعداوي : أه يظهر الحكاية كدا ، الغريبة بقى يا يوسف نظرات البيه ليها وهوا مركز أوي ده أنا كنت فاكر السهرة كدا في الحبّيني.

يوسف : لا يا خويا ما السهرة ها تبدأ، بس مش لما نعرف الوضع يرسى على أي...

يرتفع صوت الضيوف مصغيًا كلا منهما إلى الأخر.

بينما عادَ إليهم معتذرا.

محمود بيه : أنا في غاية الأسف اعذروني!

أمجد مالك : لا يا محمود بيه لا أسف بينا أبدا.

فجأة وقف متأفّفا بين ابتسامة ووجه ممتقع زوجته جواره يرسلن للبيه عبارات الاسف، إيمان متظاهرة مكملة تعللها بمرض والدتها وأنّها لن تتركها في ظروف طارئة مثل هذه.

إيمان : سعدنا بلقائك بس متأسّفين أرجوك تقبل الوالدة تعبانة ولازم أرجع أشوفها

أمجد يفتح يده يمدها بكياسة لمحمود بيه وعلى وجهه ابتسامة مصطنعة.

أمجد : تشرفنا يا محمود بيه.

محمود بيه : الحقيقة أنا كنت مسرور بوجودكم.

يغادرن في رتابة دون أن يظهرن أي افتعال بذواتهم عن ما حدث على مائدة الطعام.

يسير أمجد يفتح لها باب السيارة يرتادا إحداهن المنزل؛ وسط الطريق ينظر لها نظرات صارمة عن شك يساوِرُه.

أمجد : عال يا هانم لتكوني فاكراني أهبل ومش فاهم مش قادر اتصور نظراته ليكي.

إيمان : مش معقول يا أمجد، أنت فكرك وصلُك ايه؟..

هنا ينتبه للطريق بينما ولَّي وجهه قبالتها ليجرحها .

أمجد : الإجابة عندك يا ست هانم شكلك حنّيتي للماضي!.

تغضب إيمان لتلقي باللوم عليه وتعايره هوا الأخر بحاضره معها.

إيمان : لا لا أنت ذوّدتها بقيت اتعاير بالماضي نسيت أنا كان وضعي أي وظروفي أي بلاش الماضي يا أستاذ؛ شوف نفسك أنت ما شفتش راجل في بخلك ولا والانانية دي.

سكت أمجد ثم عاود يقول.

أمجد : خلاص يا إيمان مجرد شك.

يصلان إلى منزلهما في سكون اختلى بهما، نزلت من السيارة في سكون ووجوم، صعدت إلى درج البيت إلى غرفتها تبدل ملابسها تلقي بروحها على فراشها مجروحة.

في نفسيته المستوحشة ومزاجه الغير رائق أداة وصل للتنفيس يدس يده في جيبه يحمل علبة السجائر الصفيح، يسحب سيجارة يضعها يحكمها بفمه، بأفكار مزدحمة بالعدوان. الآن هامسا مرددا متترددا عن ضلالة شك يساوره: يا ترى أي السبب، ليه كان مركز معها لي كده؟!. ثم يعود لماضيه يتذكر، بين نكبة وغلظة، بين حماقة، بين جفاء منه، ينقد معاملته لها إيمانه الذي بدا يتجدد داخله.

يخطو إلى باب المنزل يقسم بالله الّن تناظر عيناه عينيها.

كانت الساعة قد قاربت على العاشرة مساءً، مشرفة الخدم تنبّه عليهم ألاّ يسهرن، ألاّ يثرثرن مع بعضهن، وإلاَّ ستجلدهم في العمل وتقسو عليهم. دائمًا ترشدهم إن لبدنهم عليهم حق، النوم مبكرا، الصحو المبكر، الجسد النشيط، حذاري أن تلتقطهن يتسكعن خارج غرفهن.

هنا لحظات قادتهم إلى إقامة السهرة في الخفاء السهرة المقامة بالقصر من داخل الغرفة المزيّنة بالبالُونات المطاطية الشموع المزينة بالدانتيل

الكبير بمضجعه في صفوة مزاج تختلي به أفكار عن المتواجدين من حوله ينظر خلفه الأجواء التي لا مثيل لها، يريد أعلى ما يمكن أن يُعدّل صفو مزاجه داخله الآن شهوة تحركه تدفعه تسوقه بشوق إلى «عزه ».

امرأة منحرفة في منتصف عمرها. جلس السعداوي حاملًا قيثارته يشدو بمقطوعة من لحن أغنية " قارئة الفنجان ". بدء العزف دخل يوسف حاملًا الاكياس السوداء، من وراءه عزا الملتفة في عباءتها الساتان السوداء النصف مفتوحة تبرز فستانها الأزرق من أجزاءه العارية يكشف عن سيقانها وأيديها من الاطراف قامة خصرها

المستقيم جعلته مفتون يحملق فيها بثبات نظره عليها، أفرغ زجاجة من الجعة يسكب للحضور بالجلسة ربع كؤوسهم.

الخدم نيام تمامًا لا آذن سمعت ولا أعين رأت؛ انتهت لمسات السعداوي من العزف وانقطع برهة، ثم ترك القيثارة جانبه، ونالت إعجاب البيه الذي ارتشف حد الثمالة قائلًا بصوت: اطلعوا برّه. لوّح بيديه للحضور أن ينصرفا جميعهم.

حمل يوسف كل شيء يخفيه غير تاركًا وراءهم أثر حتى لا يتكشّف أمرهم.

إن عودة الهانم تخسف بهم تكركبهم أيضا تجعلهم يتلفّتون وراء بعضهم كل شيء يصبح رتيب في حضورها كل شيء بموضعه ليقف الخدم كلهن أمامها منضبطين.

في حضورها يصبح حمل وديع يصبح طفل بين يديها ينحني إليها متواضعا.

في الصباح كان نائم اقترب يوسف من أمام باب غرفته عن حذر متعقبا صوت منه لكن صمت سائد داخل غرفته طرق الباب عليه يوقظه ليستعد باستقبال زوجته، طرق الباب بنقرة أخري ثم عاد أدراجه. نصف صحو تحرّك نازعًا غطاءه من فراشه ولّى بأخذ حمام بارد.

حول المشرفة يتكدس فريق الخدم كلُّهُن يعرفن أدوارهن في العمل؛ وجيدة المُصِرة؛ أن الغداء سينتهي خلال ساعتين قبيل وجود الهانم عدد السيارات المحتشدة وراء بعضها.

يقف « مختار» حارس القصر وهوا بمقتبل عمره ماسكا لّيّ يسقي به الزرع والنجيل. يلقوا عليه بالتحية قبل مغادرتهن القصر بتجاههن إلى استقبال بالهانم.

بمطار القاهرة حشود غفيرة من الناس كلّهن بداخلهن غصّة متطأطئين رؤوسهم. المتذكرين عائلتهن، العائدون لأوطانهم، المنكبّين على هواتفهم، المسافرين رغم الحنين والشوق يغمرهم يستفرد بهم.

يسير سائق القصر مرورًا إلى المطار بينما تقف السيدة ريمان تنظر إلى ساعتها في نفور تجد السائق قد وقف أمامها لتركب السيارة.

المائدة الكبيرة مزيّنة بالشموع، الصحون الفارغة موضوعة على المائدة يعلوها طقم من الشوَك والسكين وكرسيان إحداهما يبعد عن الأخر القدور ترصصت جانب بعضها على المناضد الصغير يتلصصن الخدم على بعضهن في ثرثرتهن لمن يخمن ويقدر على حل اللغز- ماذا كانت تفعل الهانم في " لندن "؟!.

السائق أقلّ الهانم إلى باب القصر اختلس نظرة من نافذة القصر سار سريعًا إلى المائدة يوشي بنظرات تحمل دخولها عن اقتراب في قدومها كان قد وقف يبعد الكرسي قليلا للوراء، فاتحًا ذراعيه يُسلِّم عليها يعانقها ثم بادلته العناق تظاهر بعبارات الاشتياق

_ وحشتِني يا روحي!

_ من ساعت ما سافرت، ولا حتى اتصلت تطمن وبتقول وحشتِني يا روحي!

_ أنتِ عارفة المشاغل.

سكتت وتمتمت ....ثم همست .... مشاغل!.

أشارت إليهن وجيدة، فجحظت بأعينها حتى ينتهين من وصلة ثرثرتهم تحركن وحملن القدور يسكبن الطعام.

على مقربة من الهانم كانت تقف وجيدة.

لوّحت لها وتبسّمت تقترب وجيدة هيا الأخرى تحييها بابتسامة

وجيدة : نورتي يا ست هانم نورت يا بيه

ثم انصرفت بعيدا تقف تلحظ الخدم.

يكمل البيه سائلا.

_ صحيح يا إيمان كلميني عن أختك أخبارها و عن لندن، وأخبار المشروع؟

_ بخير الحمد لله بتسلم عليك كتير، الاجواء جميلة يا محمود في المشروع هايل جدا أعتقد أنه حاكيون أحسن أتليه في شارع " البكاديلي ".

_ بالتوفيق يا حببتي.

قاما من مجلسهن بعد انتهائهن من الغداء، تصعد السيدة ريمان إلى غرفتها بجناحها، بدّلت ملابسها بعجلة تأوي إلى النوم.

يتطلع ثم يجلس إلى الكرسي الحلزوني يحمل كتاب يقرأ فيه، يحرك أنامله يحمل غليونه بسحب أنفاس متتالية يُنفِّس عن نفسه عائدا بخياله الذي انخرط فيه كيف كان يثبّت عيناه قبالة عيناها، عقله الذي لا يكف عن أنها سوف تدنوا إليه وتأتي إليه بدافع زوجها عقله الذي يفكر ويحلل لكنها إيمان بأعينها التي غرق فيها ستجعله يحرق نفسه، يغرق ولا يجد طوق نجاه ولا مهرب من جل أخطاءه.

" يوسف " " وعزة " من الماضي.

يمشي حائرا ولا يعرف أين يذهب أتطأ ساقة عتبة باب بيتها؟!. المثير للجدل أنهم تقابلا في أحداث سريعة جرت بينهم بالماضي. قد أخفا عن بعضهن أشياء كثيرا. جُلّ علاقاتها مع الرجال، وأنه يهوى النساء ويحب أن يلتقي بهم؛ يشبهن بعضهم كثيرًا. عزا اللصة المتآمرة، لا تعرف سوى أن تخطط فقط في كيف تجرّد أي رجل من مشاعره، تجرّده من نفسه تشرّده تُسلبه ماله وكل ما لديه.

الغريب أن يتبدل رجل ويتغير فجأة رأسا على عقب كان خجول ولا يجسر في أن يعترف لمرأة بأنها جميلة، كان لا يجرؤ على أن يحدّق

في امرأة، لأسباب جرفته وراء تلك اللصة لكنه لم ينال بُثَينة!. إنَّ الذي جمعه بعزة المال.

كان يوسف يريد يحظى ببثينة. بثينة التي لو تمنى أن يحظى بها الرجال يغدين في سعادة وصدر منشرح، وراحة بال حامدين الله على ما في أيديهم يقولون أنها تلك الانسانة التي كنا نحلم بها.

تربت في بيت لا يعرف معنى أن ابنتهم تتسكّع خارج المنزل ماذا لو عرف والدها، أنها تحدثت مع رجل في غيابه سوف يقتلها!.

ذات يوم وجدت يوسف مخمور يترنح؛ عادت إلى أمها تبكي تصرخ تقبل رأسها وكأنها كانت تريد أن تقول : معاكي حق يا ماما، تتضرع إلى الله تحمده أنه كشفه إليها فاكتشفت بنفسها كونها كانت أمس الاعجاب به بدت ترسم أحلاما في مخيلتها، لا ذنب لها سوى أنها أطلقت العنان لذاتها وله كثيرًا فيما أن تلك الأحلام كبّلتها القيم. أي قيم ذلك التي نتحدث عنها؟!. أنا دائما أعرف ان الرجل الذي ينحاز إلى النساء وينجرف إليهن ويندفع بغرائزه ينكب على نفسه يضيع بينهم تسقط قيمته، يصبح ذكرا فقط لا رجلا. أعتقد أن الرجال والفتيان لا يجسرن باعترافهن لاشتهائهم للنساء. لكن أعتقد أن النقود الطائلة الباهظة يجلبن النساء التي تقبل أن تبيع شرفها لو أرادت.

السر الوحيد الذي يعرفه يوسف عن عزا أنها تمتلك شقة في شبرا الخيمة وكان يجتمع بها هناك كان وكرهم هناك كانت تكمن لذّتهم؛ قال انه سيعرفها على البيه الكبير، لكن عليها أن تكون حذرة كل الحذر لن يكن في متسعها السرقة مجددًا، أو في مقدرتها تنتشل ما يبهر عيناها.

آخر مرة سرقت فيها؛ جرّدت رجل أعمال كل ما كان يملكه من مال؛ أصبح الآن صفرا من كل شيء. الآن لن يجسر أن يشرع في القتل، أو يسمح لدوافعه أن يكون سببًا في مقتل وجريمة هما يخافون من ذلك نسبةً لهم لكنّ ذلك مثل نزوة وتمضي كل شيء سيمضي. لكن يصبح الحدث رئيسي الحدث الأعظم في نظر الصحفيين عظيم ليزجوا به نزف حبر أقلامهم على أوراقهم وينشر في مجلّات و التلذذ بكتابة وقراءة مقال حافل بالأحداث.

أعتقد هذا سيورّط الجناة سيفتح تلابيب النار عليهم من قِبل الجنائية والأمن العام، ستلفح وجوههم النيران. السبيل لهم ليس بأن يلوذُ ببعضهن البعض ويكملن طريقهم نحو الخطيئة هل كان يشقى بعقله ليظل يفكر يُعلّق مخططات عزة نحو السير إلى مخطط الانتشال هل يجرأن على سرقة « محمود الغريب »؟.

قام من فراشة نصف انحناءة يبحث عن علبة التبغ أعلى الكمود بمزاح عُكِّر صفاؤه، يختلس سيجارة من علبته يمدد يده إلى المنضدة بجانب الفراش، يحاول أن يقاوم ذاته على أن يحمل كوب المياه يرشف منه القليل يملأ شفتاه الجافتان بهما وعيناه الجاحظتان جبينه الذي يتفصّد عرقا بغزارة ن سعال مستمر ألمَّ به، السيجارة التي كان يحملها في يديه غمسها في كوب المياه أطفأها.

هل كان يدفع ثمن ذلته مع زوجته وبخل مشاعره إليها وتحمّله على ضعفها وإهانتها؟! أم أنه الثمن الباهظ الذي يدفعه الآن ألمًا.

يمرر يده ببطء شديده علّهُ يقدر أن ينطق إيمان.

إيمان التي آوت الى النوم بالأريكة نائمة منهارة.

انقلب من الفراش يحبو كالطفل الذي يبحث عن حضن أمه يقاوم مزلاج الباب الذي فتحه بمعجزة ينادي : إيمان .... إيمان .... إيمان.

إيمان التي فُزِعت من مرقدها تهرول صعودًا إلى الدرج،

أمجد : إيمان بموت اسعاف ..... الإسعاف ارجوكِ

فعادت تهرول نزولا تجلب الهاتف المحمول تطلب الاسعاف.

تجثو بين ذراعيه هوا ملقى سقيم عليل شياطينه التي تتمرّد ليقسوا عليها بعباراته والشك تارة يقتله هوا مائل لا مأوى له بأن نفسه

سوّرت وخُيّلت له أنها وضعت حبة عقار في كوب المياه أمان ما يشك به صحيح أم لا؟!.

إيمان نهضت واقفة تتنهد، وتبتعد عنه، الآن تفكر بعدوانية؛ أتقتله وتتخلّص منه لتنتهي تلك الثورة أم تتركه لقدره!.

نفرت منه واجفلت إلى غرفة نومها تنتقي ثيابها ترتديها على عجلة تُعبّئ حقيبتها لتسير حتى تتبخر ولا يكن لها آثر. قررت وأرادت لكن ما المأوى لها من الضالة في الطرق! ركبت السيارة ووضعت المفتاح أدارته وشاءت تسير على ضالتها.

زوجها العليل تقتاده الاسعاف وانطرح كجثة خامدة بسرير بعنبر المشفى جانب المرضى عن مرضه الذي يصارعه وبقيَ تحت رعايتهم.

هنا الشرطة سوف تتدخل للتحقيق فيما أن تجد سببا لآثر اختفائها المفاجئ كان ينقصها أن تفكر قليلا!. لكن هروبها وقنوطها منه رحمةً عليها من عصيانها وشر نفسها عليه.

الاسعاف تهرول منزل السيد " أمجد مالك " لتسعفه يجد أحد رجال الاسعاف الباب مواربا حتى يدنو إحداهما من الباب يطرقن الباب بنقرات حتى يفسح الباب قليلا، يجدن المريض العليل ملقي أرضا يئن ويسعل يستدعي مشرف الاسعاف يحملن أمجد ليلقي بهاتفه على آذنيه يخبر رجال الشرطة الجنائية.

كيف لزوجة أن تخبر المشفى بعجلة، أن يسعفن زوجها الذي قد أشرف أن يلقى حتفه لولا الباقي من عمره، وأنه لو بقى حتفه فأن الله سيرحمه من هذا العذاب. كيف لها أن تترك الباب وتقتاد السيارة بعجلة لتفتح النيران عليها. والجنائية تبحث هيَ من ؟ وأين هي؟.

مكتب الجنائية بالشرطة

" النقيب وليد مهران "

الساعة الثامنة ليلًا على ضوء الأباجورة بالمكتب وسط زحام من الورق والدفاتر، يجلس النقيب

" وليد مهران " يُمسِك بصحيفة الجرنال يتطلع إليها ليأتيه اتصال هاتفي يجد مجهول من رجال الاسعافات

يرفع النقيب السماعة

_ الو، الشرطة الجنائية

_ أيوه معك الرائد " وليد مهران "

_ سيادتك تقدم لنا بلاغ من واحدة ست، عن زوجها المريض وأكدت لنا بالعنوان باب البيت كان موارب المريض حالته كانت ساءت جدا، أخدناه المستشفى على الأغلب اللي كلمتني على التلفون زوجته وواضح إنها سابت البيت!.

_ اهم شيء الآن الرعاية بالمريض، ممكن من العنوان من فضلك

_ حي مدينة الشروق منزل المجاورة الثانية

_ شكرا.

قام من كرسيه يحمل مسدسه خلفه يجري اتصالا بمساعده كاتب التحقيقات بالمكتب المجاور له وأوصى بسيارة الشرطة بحشد من العساكر داخلها أن يُسيرن وراءهم، إلى منزل السيد « أمجد مالك » عندما ارتادت السيارات المنزل احتشدت العساكر خلف المنزل؛ اختلس نظرة إلى المفتاح الموضوع مكانه بباب المنزل، دخل الضابط وبرفقته كاتب التحقيقات يشخص بأعينه في أرجاء المكان، غير تاركا آثرا وراءه، إلاَّ وإذا بحث عن شيء قد يمكن أن يستجدي به في هذه القضية التي تتبيّن غامضة؛ صعد إلى الطابق الثاني في غرف النوم،

أدلف إلى غرفة أمجد وجد كوب المياه المسكوب منه قليلا وحبة العقار الموضوعة في الماء الواضحة أمامه أوصد الغرف، هندم كل أثر كل شيء قد تحسست به يده؛ حمل كوب المياه إلى المساعد وحملها في كيس أسود نزلاً إلى الدرج؛ بينما كان يقف مشرف الاسعافات حائرًا لا يفهم ماذا يحدث.

_ طمنا سعادتك أي اللي حصل؟

_ يبدو أن المريض بيعاني من أزمة، أثر وجود حباية في كباية مياه مراته اللي اختفت فجأة في شيء غامض نوعا ما، مع أن الزوجة هيا كانت الأقرب له في ظروف زي كدا ، على الأرجح لازم أحقق معاه في المستشفى بكرا إن شاء الله، ياريت تبلغني بحالته و بكرا أكون موجود المستشفى.

_ تحت أمرك يا « وليد بيه ». بعد أن تحرك خطوة التفتَ إليه.

_ الأَ قولي صحيح بما إنك ما تعر فش أي معلومات عن زوجة المريض، أكيد طبعا نمرة تلفونها الشخصي موجود عندك في الصادر، يعني حبيت أتأكد والمساعد هيكتب الرقم محتاجين نتحرى عنها.

آخذ مفتاح البيت يسلمه للمساعد وآمره أن يدوّن رقم هاتفها من مشرف الاسعافات؛ وبإشارة منه إلى العساكر يصعدنَ صندوق السيارة بارتيادهم قسم الشرطة إلى مكتب التحقيقات.

وجيدة التي أحضرت حقائب الهانم تقف بوجه عابس حزين نزلت على الدرج إلى الهانم.

وجيدة : معقولة يا ست هانم، قوام كدا هاتمشي.

وضعت يدها في حقيبتها تحمل مبلغ من النقود عن شفقة.

ريمان : خدي دول يا وجيدة.

وجيدة : العفو يا ست هانم خيرك مغرّقنا

ريمان : امسكي بس يا وجيدة، الاّ صحيح " السعداوي " مش ناوي يتقدم لِك؟.

وجيدة تقف قبالتها تنظرها لها حائرة بينما الهانم تنظر لها غير عالمة بكينونتها. الغريب أن وراء السعداوي سرّ والأغرب أن المسكينة ما عادت تفهمه ما عادت تُصدّقه وعدها أن يتزوجها ولم يتزوجها، أيجعلها تعسة ويمرق قطار الزواج من أمامها أيجعلها تنتظره وهوا يرقص على قلبها باسم الزواج!.

وجيدة : لسه يا ست هانم، ما كنتش أعرف يا ست هانم إن أمري يهمك أوي كدا!.

ريمان : أنتِ بقالك سنين معانا في القصر الحقيقة ناس كتير نشوفهم وجوه متشابهة، ناس كتير ما تستاهلش العشرة أنتِ من الناس اللي لا يمكن نسيانها يا وجيدة.

انتابها شعور أسعدها؛ لكن اختلجت عواطفها واضطربت مشاعرها بنفسها التي حرّكتها كي تبوح لها أكثر عن ماضيها الذي يجمعها به لكنها رفضت، عَلِمت أن وراء بوحها نار متأججة وثورة ستقام وتفضح المخفي.

نظرت من نافذة الغرفة تنادي على " مختار " الحارس الجالس على كرسي أمام باب القصر ثم حملت الحقائب سارت ببطء قليلا لتجد مختار صاعدًا إليها أحضر السائق السيارة، بينما وجيدة و مختار همَّا بالنزول ووضعا الحقائب على مقعد السيارة لتنطلق.

خرج من الغرفة بالبيجامة يعانقها وعيناه تتسع يهمس : خلي بالك من نفسك!.

وقف وكلّفته ثواني عديدة أن يودِّعُها ثم ركبت السيارة.

ظلت إيمان تجلس في بستان على مقعد وأمامها السيارة في حالة من كآبة، توتر، حزن خيّم على وجهها ساكنة صامتة كالخرساء يأخذها خيالها يذكرها بنظرات محمود الغريب إليها تفكر أتغادر مكانها

وتجوب قصره؛ فما لبثت أن حملت شنطة يدها، تركب السيارة تدير المفتاح لتنطلق إلى قصره.

الرائد وليد يعبر المشفى برفقة كاتب التحقيقات ينقب عن غرفة رعاية أمجد مالك، عاد إلى الاستقبال يتأكد، دلّه العامل بالاستقبال، كان بالغرفة الرابعة.

دخل إلى غرفة الرعاية ظانًا أن لا أحد بداخلها سوى المريض المذكور اسمه ليجد الطبيب يقف بجانبه يتتبع حالته التي تسوء من آن لآن ولحاجتهِ الماسَّة إلى الرعاية.

الطيب : جرى أي يا أستاذ!.

الضابط : عفوا أنا الرائد " وليد مهران ' من قسم الجنائية واللي وصلني بلاغ عن طريق مشرف الاسعافات الاستاذ أمجد مطالب بأني أحقق معه.

الطبيب : أهلا وسهلا يا سيادة الرائد

أراد أن يسل الطبيب سؤالاً عالما بإجابته

الضابط : أهلا اسمح لي اسألك

الطبيب : اه اتفضل

الضباط: المريض بيعاني من أي بالضبط؟.

الطبيب : للأسف كان تحت تأثير حباية بمعنى أصح حباية مهلوسة

الضباط : أقدر أحقق مع المريض الحقيقة محتاجين نفهم سر اختفاء زوجته وإيه اللي وصله لكدا!.

الطبيب : على ما يبدو يا سيادة الرائد أنه محتاج الراحة والرعاية ولكن انتم مضطرّين.

دخلَ إلى غرفة العمليات معًا وكان المغدور تحت أنظمة التنفُّس شعر بخفق نعال ينطق : إيمان .... إيمان؛ ينظر إلى الضابط وكاتب التحقيقات في رؤية مشوّشة ويلوّح رأسه يمنى ويسرى.

وقف الرائد ينظر إليه لثواني ثم قال.

_ أستاذ أمجد على مهلك خد نفسك أنا مقدر وضعك. اندفع وهوا يحدثهم

_ حضرتك مين وعاوز إيه؟!

_ الرائد وليد مهران من مباحث الجنائية.

سكت ولم يتحدث سوى أن لفظَ أنفاسه مكملًا حديثه بصوت واهن؛ ثم عاد يقول بغضب.

_ ممكن أعرف يا حضرة الضابط هل أنا متهم؟.

_ الحقيقة إنك مش متهم يا أستاذ أمجد لكن جاني بلاغ شخصيا من مشرف الاسعافات عن مريض ما بين الحياة والموت؛ أستاذ أمجد تفسّر بإيه اختفاء زوجتك في الظروف دي!.

_ أي اللي أنت بتقوله ده مش ممكن.

_ طب والمفتاح اللي كان موجود في الباب، باب الشقة اللي كان موارب المشرف اللي بلّغته زوجتك قبل الاختفاء!

_ معرفش .... معرفش!

_ اهدى يا أستاذ أمجد انت مش بتساعد حالك فرجاءً ياريت جاوبني على اسئلتي .... تقدر تقولي اي اللي انت فاكره قبل دخولك المستشفى؟.

_ كنت في غرفة نومي فقت من النوم كنت في حالة مش كويسة وحسيت بألم مش طبيعي يعني حسيت بجفاف في ريقي شربت مياه حسيت بدنيا تانية.

_ أستاذ أمجد اسمح لي اسألك، هل علاقتك بزوجتك كويسة؟

_ واي علاقة سؤالك باستجوابي!

_ لا لا لا يا أستاذ أمجد دي مدلولات كتير جدا.

رفع " وليد مهران " من حدة صوته أومأ برأسه إلى كاتب التحقيقات يحدثه : هات يا بني الكيس الأسود.

وضع يده في الكيس الاسود يحمل الكوب الواضح فيه حبة عقار

_ أستاذ أمجد مش دي الكباية اللي حضرت شربت منها!

_ مش معقول هوا اي اللي بيحصل؟!

_ هوا ده السؤال يا أستاذ أمجد اللي كان ممكن يتسأل من الأول!؛الحكاية كلها زوجتك حطت الحباية لك في كوب المياه؛ أستاذ أمجد جاوبني على سؤالي هل علاقتك بزوجتك كانت كويسة؟.

وجد أمجد أنه لا يمكن أن يهرب من ردّه على الضابط .

_ قبل مرضي كنا متخانقين شوية، المشكلة زيها زي أي ست تعاني من نقص المشاعر؛ لكن ما كنتش متخيل انها تختفي و ما تكنش جنبي في ظروف مرضي!.

_ رأفةً بحالتك يا أستاذ أمجد، إحنا ها نوقف التحقيق لحين ما تظهر زوجتك لكن التحقيق بنا لسه مانتهاش وأرجو لو في أي جديد تبلّغنا!؛ صحيح أنا هسلم مفتاح شقتك للاستقبال.

أفرغ كاتب التحقيقات ما دوّنه على لسان المريض؛ وخرجا معا من غرفة الرعاية إلى الاستقبال يسلمهم مفتاح منزله.

أمجد طريح الفراش بالمشفى لم يستطع كبح جماح غضبه عن مرضه الذي ألمَّ بهِ. سارا برفقة بعضهم إلى مكتب الشرطة.

وقفت من مقعدها تركب السيارة تدير المفتاح ربما كان صوت يحذِّرُها ينذِرُها ألاَّ تفعل وتُنفِّذ ما يجول بخاطرها وصوت شيطاني آخر يقودُها لأهواءِ نفسها، فتتبعت أهواءها وسارت إلى قصره.

البيه يجول بالقصر مشدوها يبحث هنا وهناك عن يوسف أين ذلك يوسف الذي اختفى فجأة؟!؛ بينما السعداوي جالسا مكبًا على قيثارته يجرب ويكرر مقطوعة يُلقّن نفسه يوطّد آذناه يحرك أناملة بنشوة وإحساس؛ ثم وقف وقفة كان بها متذمرّا ترك قيثارته انغمس يفكر فيها

ناعنًّا ذاته عليها ... لماذا لا يدعس على كرامتهِ ويضبط نفسه ويكن قدر المسؤولية لماذا لا يتزوجها!!. وجيدة التي استشفّت عنه ما أضمره ولم يجسر على أن يفصح به لها؛ سوى أن قال : ما هي مجرد لقمة عيش.

مذُ أن عرفت يوسف الذي دخل إلى حياته، وهي تنعي حظها أليس لها قدر من النصيب مثل باقي الفتيات؟!. الآن أصبح مصيرها المحتوم بين اختيارها أتتركه أم تكمل معه حياتها التي قد دنّسها؛ ما الذي أجبره على بقائه مع البيه الكبير هل الظروف إن الظروف لا تقهر لهذه الدرجة، لكن الظروف والحياة القاسية تبنى إنسان جادًا وتنشِئُهُ على احترام ذاته لا تقديس نزواته وتلبية رغبات البيه الجامحة الخيَسَة؛ إن ضميرها ارتبط بمصيرها ونشب واستفاق؛ إن والداها علماها ألاّ ترى منكرا وتسير على ضالتها وإلاَّ بهذا تكن شاركت في الجرم.

دنا إليها ووقف قبالتها يداه وراء ظهره كتلميذ يحدثها وهوا مضطرب.

_ وجيدة اسمعي إحنا لازم نتجوز!

وجيدة التي انفجرت.

_ نتجوز!!! إحنا مش لازم نكون مع بعض

_ قصدك اي يا وجيدة!

_ أيام وشهور و سنين وأنا مصدقة كذبتك ليا تقدر تقولي آخر مرة لما كان البيه موجود كنت فين؟

_ قلت لك شغل يا وجيدة

_ شغل برده يا أفندي! ولا كنت تعزف ورا ال ....

لاحقها ثم اندفع بشدة

_ انتي بتقولي يا وجيدة يخرب بيتك ده انت طلعتي داهية!! تعالي نتجوز يا وجيدة وأرض الله وسعة.

_ اني معتش لساني يخاطب لسانك سبني لحالي يا سعداوي.

ثم حدثها بأسلوب التحذير

_ أوعي يا وجيدة تحكي كلمة كده ولا كده! وبعدين انتِ عيزا تقولي أي يا وجيدة؟!.

قالت لتنهي حديثهما.

_ عيوني قالت اللي لساني مش قادر يخاطبك بيه!!.

وقف أمامها مرتاع وأطبق فمه بوجهه الذي خيّم عليه الحزن اضطربت نفسه واستوحشت ضاقت بما لا يحمد عقباه أصبح لا حيلة له أمام كلمات وجيدة.

سارت من أمامه وأعينها مغرورقه بالدموع. عادَ إلى مضجعه يداه التي ما عادت تقوى على العزف، أحاسيسه التي خارت أصابعه المرتبكة المرتعشة قلبه الذي سقط في قدمه وحسرتاه لقد باع مبادئه!.

ارتاد يوسف شقة " عزة" أخبرته تحدثه أنها في عون الحاجة إليه غالبا أنها ما تتحدث مع يوسف إلاَّ لتتآمر على فكرة كونتها وأجدت دراسة عنها بعقلها المتمرّد- وشاءت تقص عليه حكاية من نوع ما رأيك أن نحتال على هذا. من هذا؟ ... على ما يبدو يكن أمثال هذا وغيره أمثال المغفّلين هو يشتهي ليلة واحدة ينصاع وراء غرائزه ثم ينجرف ويصبح لا قيمة يصبح مسلوب الإرادة يعيش بجسد دون روح لكن هل سيقدرن على اصطياده؟.

من ليلة ماضية البيه الكبير كلّفَ يوسف بإقامة حفلًا وخصَّ بالذكر عزة. الغريب تغيّبهم ساعات وهذا لا يغفره البيه كما تعود أن يصبح كل شيء جاهز- كل شيء مُعدّ.

دخل البناية عبورًا إلى شقتها ثم قامت من الاريكة برداء البيت تنظر من ثقب الباب فتحت الباب تختلس بنظراتها تلو أخرى يمنى ويسرى، أمسكت بيده لتُفسح له بالدخول المنزل؛ المنزل في رتابة ومظهر

زاهي. الغريب أن يرَ العابرين وجود رجل في شقة امرأة عازبة في هذا العمر، هم في المجتمع الشرقي لا يعرفن صداقات بين رجل وامرأة

أجلستهُ على الاريكة جانبها وكان خلف رداءها بروز مفاتنها برؤى خادشه، كيف تظهر أمامه بهذه الصفاقة! وكان أمامها نسخة أخرى من شخص أخر تنطبق عليه صفة البذاءة ومطامع النساء الفاجرات للرجال الذين يسيل لعابهم مثل الكلاب- فأصبح فاحشًا بذيئا.

فحدثته بينما كان مشدوها فيها يناظرها.

_ أدخل يا يوسف تأخرت ليه يا خويا؟.

سكتت هنيهة ثم حدثته.

_ جرى أيه يا خويا هوا اللي حصل في الرجالة اليومين دول! مالك يا خويا مبحلق فيا ليه كدا! ليكون أول مرة نتقابل؟!.

فاستشعر من لكنتها صيغة الحياء.

فحدثها.

_ في أي يا عزا ايه الحكاية؟

_ احنا مش كنا اتفقنا يا راجل أنت

_ مش لما أعرف اتفقنا على ايه يا عزه.

_ يوسف أنت حت ستعبط! إن كنت ناسي أفكرك، مش كنت قلت الهانم مرات البيه سافرت

_ حصل

_ وكنّا اتفقنا إننا ندخل لمِن شاف ولا من دري القصر، ها أنت رتبت الدنيا؟

_ الليلة في سهرة يا عزة البيه طالبك بالاسم؟

_ ومالوا ما يضرّش، يبقى الليلة نخبط خبطتنا هوا كاس ولا اثنين مع الراجل وبعد كدا حمرا يا خويا، أنت عارف يا يوسف مفيش وقت الفرصة متجيش غير مرة واحدة

_ خلاص يا عزا يبقى الليلة!

_ أحبك وانت فاهم يا يوسف!.

حفلة الثامنة والربع / داخلي ليلي / القصر

يوسف وعزة غادرا الشقة إلى القصر كانت الشمس تغرب، الخدم يتجولن بالقصر هنا يقضين عملهن بغرفة الهانم إلى المطبخ من آن لآن تنظر وجيدة نظرة عامة للجلسات داخل القصر.

يدخل يوسف إلى القصر ليجد مختار أمامه مختار يقف يحدثه

_ مرحبا يا سي يوسف طمني عليك، أمال مين الست معاك؟

يحدثه يوسف يرمي بنظرات حوله

_ اذيك يا مختار دي الشغالة الجديدة شوف شغلك و خلي بالك لآن ممكن يجي ضيوف بليل.

_ حاضر يا سي مختار.

سارَ على خطا بعضهم القصر يدخلها بغرفة داخل القصر لا يرتادها الخدم أدخلها يخبئها حذّرها ألاّ تمد ساقها خارج عتبة باب الغرفة، وألاَّ يراها الخدم.

كان البيه قد أخبره أن الحفلة في الثامنة والربع .

في الثامنة مساءً كان كل شيء في جو رائق زاهي، كل شيء برتابة كان يوسف يجهّز كل شيء يشرف بنفسه ويراوده القلق حتى لا يتكشف مخططهم؛ بينما ظلت عزة اختنقت احتقنت مكانها الغرفة تشبه مخزن، لكن كان هناك مرآة بها شرخ طفيف، وقفت تنظر تلمس

خصلات شعرها تداعبها تمرر يداها ترجّع شعرها للوراء تحكمه بربطة، ثم تمد بداخل بحقيبتها تحمل أحمر الشفاه، تحمل قلم الكُحل تُكحِّل عيناها، تهندم ملابسها التي تبدو قمة في الفظاظة؛ عباءة أن أحكمتها وأغلقت أزرارها لن تستر قميصها الأحمر البارز تحمل السيجار من الحقيبة تسحب أنفاس متتالية تنثرها بالمرآة تهمس " إيه الجمال ده يا بت " .

صوت محرك سيارة يمرق يدخل إلى القصر، مجددًا يقف مختار حائرًا يسل نفسه من التي جاءت الآن هل هم من ضيوف البيه؟ هل مثلما قال يوسف؟.

نزلت من السيارة تؤمّن عليها بضغطة زر بينما سارت ببطء ليندفع ويرنوا منها مختار.

_ انت مين يا ست انتِ؟

_ إيمان هانم حرم أمجد بيه مالك.

_ على عيني يا ست هانم تفضلي.

هرول مختار دخولا إلى القصر تاركا السيدة إيمان واقفه أمام باب القصر تأخر قليلا وقفت متأففة عن تأخيره. وكان يُشعِل دخانه الكثيف من غليونه مستديرًا بظهره يتحدث إلى مختار:

_ خير يا مختار سبت باب القصر ليه!

_ أصل يا بيه في ست واقفة على باب القصر تدخل يا بيه؟

اختلس نظرة من النافذة مستديرا إلى مختار

_ دخلها يا بني بسرعة!.

دخلت إلى القصر وقف يترقبها فاتحًا باب غرفته جالسًا يضع ساق على أخرى على الأريكة رمقته بنظره وقالت.

_ محمود بيه

وقف بحزم يرد عليها

_ أهــلا بالهــانم أي الصــدفة الجميلــة! طــب مــش كنتــي اعــرف إنّــك جيَّــة قبلها كنت على الأقل بعت السواق يجيبك؛ إلاَّ صحيح فين أمجد بيه.

_ تعبان شوية، سبته في الغرفة بعد ما اديته الدواء

عقدَ حاجبيه ولاحقها مندفعا.

_ قصدك المستشفى!

_ مستشفى أي مش فاهمة!.

الحظ لون وجهها الذي بدا عليه الاصفرار ولسانها الذي تلعثم

_ مالك يا إيمان هانم وشّك اصفر ليه كده!

_ انت عرفت ازاي كده؟

_ وهــل يخفــى خافيــه علــى الصــحافة انتــي ناســية أن جــوزك أمجــد بيــه احنــا مش حنرجع بالماضي.

بــالرغم مــن الخــوف الــذي تملّكهــا ونبــرات صــوتها المرتعشــة وجســدها المرتبك اندفعت هيا الأخرى

_ هوا أنت جاي تحقق معايا يا محمود بيه!

_ لا يــا هــانم مــش أحقــق ولا حاجــة... أنــا كنــت عــارف أنــك جيّــة هنــا عــن هروبــك مفكــرة إن وجــودك هنــا مــأوى ليكــي الحقيقــة يــا هــانم وجــودك فــي القصر هنا يخضع لقوانيني. تخدي كام!!

_ مش فاهمة اخد أي ومقابل أي؟!

رد بصيغة جريئة.

_ مقابل ليلة واحدة!.

_ أنت وقح وفاكر إن الفلوس تشتري البني أدمين!.

أطلقت كلماتها غاضبة ثم أدلفت من الباب مسرعة إلى السيارة عبورا إلى منزله لم تتنبأ أنها تحت المراقبة؛ إن كلُّهن بمجرد أن يخطئن يتذكرن عثرات حاضرهن؛ ومن ثم تمر من أمام أعينهم ذكريات بريئة؛ مشهد واحد بريء - يعني أن العالم لم يخلق شريرا حتى يكاد ينزع تلك القناع في البدء. كان في المشفى تحت رعاية الأطباء في حالة من اليأس؛ كان في أنفاسه الاخيرة – جهاز التنفس يقيس النبض بينما النبض لم يعد مستقر، جسده يحتضر يتصارع إنه الموت ليس له ميعاد ولا وقت محدد.

أصبحت الإشارات متوقفة ؛ الطبيب يخضعه لجلسات الكهرباء مرة تلو أخرى- النبض سكت وسكتت أنفاسه عن سكراته ؛ إن الله رحمه ومنّ عليه بالموت.

سارت بالسيارة ببطء أمام منزلها ثم وقفت ترقب البيت بنظرات غير بالية ولا تعلم بمخبريين يقفان بعيدًا يرقبنها طالت نظراتها المنسجمة عن ذكريات من الماضي كيف كانت معاملته لها وضحكاته بما لا يُفِد الآن إنه الآن أصبح جثة بالمشفى و أصبحت جانية.

العساكر اقتربت من نافذة السيارة يحادثنها

_ انزلي من العربية وتعالي معانا من فضلك ومن غير كلام كتير.

_ أنتم مين في أي.

_ إحنا من قسم الجنائية!.

_ ممكن أفهم أيه المطلوب؟!.

_ انتِ متّهمة في قتل المغدور جوزك.

سالت دموعُها من عيناها كالبحار وصاحت.

_ ما قتلتوش!!!.

_ انزلي من العربية من غير دوشة قلنا.

ركبت السيارة واتجها إلى قسم الشرطة.

مكتب الشرطة

دخلت زوجة المغدور في حالة بائسة أعينها مغرورقه المتناثرة خوفها الذي شلّها أربكها هل كانت تصدق أن ترتكب هذا الفعل. لم تقتل بسكين لم تضغط الزناد، لم تقدر أن تحمل مسدس فهل كانت تتحمل وقوفها في مكتب شرطة!. وقف من كرسيه ينظر إليها مشفقًا على حالتها يهمس في نفسه... ما الذي وصّلها إلى ذلك؟!. ثم تحدث

_ والله عال يا ست إيمان كده ندوخ عليكِ اسمك ايمان مش كده؟.

وقفت امامه منهارة تبكي بغزارة.

_ أيوه أنا.

_ لا لا يا إيمان بلاش البكاء ده ... انا كده متأثر .. ها احكي أي الدافع اللي خلاكِ تحطي حباية مهلوسة في كباية مياه.

_ ما قتلتوش

اندفع صارخًا.

_ واختفاءك وقتها اثر الحباية مفتاح البيت اللي كان موجود مفيش حاجة اننا نقدر نساعدك ونقف جنبك الحكاية لبستك يا إيمان!. لم يكمل حديثه تلقى اتصالا هاتفيا من المشفى من الطبيب الذي كان يرعى حالته.

رفع سماعة الهاتف

_ الو وليد بيه يؤسفني أقولك المريض تعيش أنت!.

أغلق المكالمة بينما وقف وليد مهران في فزع غير مُصدّق ما تلقاه على مسامعه كزَّ على أسنانه رماها بنظرات متتالية متتابعة واندفع يحدِّثُها

_ أنتِ جنيتي على حالك يا إيمان انتِ عارفة المكالمة اللي جات كانت من المستشفى اللي بيتعالج فيها جوزك يا ست الحسن عارفة قالو....

قاطعته دون أن يكمل.

_ تقصد مات!!!

_ مات بسببك!!!!

وانهارت قائلة.

_ ماكنتش قاصدة أقتله صدقني! صحيح أنا عملت كده لكنه كان مريض يكلمني عن بكرا وهو قلقان، يستخسر يقول كلمة حلوة في حقي رغم حاجات كتير حلوة حرمت نفسي منها أهلي اللي خسرتهم عشان أنول رضاه، كان يضربني!... كنت عايزني أفضل أعيش مع إنسان مريض! يقتل اللي باقي مني!.

_ يؤسفني أقول قضيتك تقفلت.

ونادي على عسكري يقف خارج الباب ليصحبها.

في ذات الوقت الذي يرتاد فيه الخدم فراشهم بعد عناء من العمل تظل وجيدة في صحو؛ صوت الموسيقى الصاخب المنبعث من القيثارة وسط تصفيقات وتهاليل وصوت عالي.

عزة أزاحت الستار كما نزعت عن نفسها عباءتها السوداء في منظر غريزي كان مختار جالسًا على الكرسي واقتربت عزة حرّك الموقد أمامه وضع الماء بالبكرج أشعل الموقد وضع البكرج ووقفت قبالته تلملم عباءتها بحرص تحدثه

_ اذيك يا واد يا مختار.

خلف الضوء الخافت يتحدث مختار.

_ مين؟

_ ستك عزة يا واد!!

_ مرحبا يا ست كأني شفتك مع سي مختار تعالي اشربي الشاي.

_ ما أنا الشغالة ياريت يا خويا على بال ما الميا تغلي تكون ناديت لي سيدك يوسف

_ أوامرك يا ست عزة.

ودخل ينادي يوسف بينما ملأت عزه يداها بحفنة عقار المنوم داخل قدح مختار عادَ إليها يحدثها

_ يظهر يا ست عزه مشغول مع البيه!

_ طب يا خويا فضك بعافية أنا هد خلّه.

تجرّع مختار قدح الشاي كاملا ثم سقط على الأرض. دخلت وكانت أعينه تتفحص فستانها الأحمر بحملاته الرفيعة بجسدها الرشيق النحيل ذا المفاتن البارزة؛ جلست تلتصق بجسده الذي ارتفعت حرارته يحدّقها كما مرر يداه أنحاء جسدها النحيل البارز مفاتنه، كان كالكلب فاحش أوقفها متسمّرا تساومه بعبارات خادشه مُستمرا بمداعبتها.

أعينها المثبتة في بحور من الدموع خلف نافذة غرفتها تُركّز على السعداوي تارة على البيه أصوات تهمس داخلها. « هل كانت تستحق زوجته المصون ان تعيش مع كلب مثله؟!- هل كانت تستحق أن يسحقها ويخونها لهذه الدرجة، لا يستحق أن يقال عليه رجل؟! ».

رفعت سماعة الهاتف تُبلغ الشرطة بالواقعة؛ كما القت اتصالاً بالهانم تخبرها حقيقته، وعزمت إيمانًا ويقينا بداخلها أنَّ مثلها لا تستحق الخيانة - رغم جنون ألمَّ بها وعجز عن الحركة بث فيه- لا مأوى لها سوى بيت أختها في فأصبحت تردد:- ازاي!!. أدلَت للشرطة أنّ في مسرح القصر أشياء تتم في العلن رجل يخون زوجته نسوة ورجال يعربدن داخل القصر يخدرن أرواحهم يشربن يُسكرنَ؛ جلبت حقيبتها عن نفاد صبرها متأففة بغضب تحمل ملابسها تلقي بها في الحقيقة

الصغيرة، شرعت من خلف باب غرفتها تركت القصر أمام الطريق تلوح بيدها لسيارة أجرة إلى بيت أهلها. ملقى بانحناء ميّتا لا حياة في روحه على أريكه غرفته والسعداوي جانبه.

انتهزا فرصتهم وقفا معًا شرعت تضبط ثيابها يتحرك من خلفها يتسلّلا يبحثن وينقبن عن ممتلكاته وأمواله.

إن رجل مثله لا بُدّ إن يترك أشيائه الخاصة في عكر قصره؛ وجدَ باب مكتبة منغلق نصف انغلاق يرمق بأعينه من ثقب باب المكتب هيئة خزنة مطلية باللون الرصاصي ظنَّ أن باب الغرفة منغلق بالمفتاح ليركل الباب بساقه حتى ينفتح الباب على مصراعيه دخلَ معا يفتشن في أدراج المكتب ملفات متكومة على بعضها سيرة ذاتية عنه حملَ كل ما يخصه في حقيبة صغيرة معهم؛ حاولَ جاهدين أن يفتحا الخزنة الصفيح عن جهد أرهقهم أنهكهم، فَفُتِحت كان بها أموال طائلة باهظة.

بينما وقف يتحامل على ذاته يمسك مؤخرة رأسه عن ألم وكدمة بثقل غير عالم بما حدث وطرأ في **أحداث** سريعة.؛ جحظت عينيه غير مصدق محمود الغريب المنطرح على الأريكة لا حيلة له لا روح تدب في جسده، لا نفس، لا حركة، لا حياة له. بوقع صوته : محمود بيه !. كان صوته قد دوى غرفة المكتب أُستُرسِل اليهم: عزة واقفة دون حراك متسمّرة وأعينها بارزة من محجريهما بما رأته من أموال مكتظة؛ خرج يوسف يحمل سكين، نهض السعداوي شعر أن صديقه العزيز خانه وخان وليّ نعمته؛ إنَّ كلهن خان بعضهن لا سبيل الآن أن يلوم أحدهما الثاني!.

وقف بسرعة عن دهاء ناهضًا احتمى خلف باب الغرفة قبل أن يُقبِل الآخر عليه بسكينه تسلّق بخطوات عن دقّة لا يسمع لها صوت نعال؛ دب فوهة المسدس في ظهره حتى أستشعر سرعته الشديدة مع سكينه التي غرزها حرّك يمناه ضاغطًا الزناد هوت رصاصة فجّرت رأسه. عزه التي سمعت صوت الرصاص مع شهقة الآخر اهتزت أركان جسدها- بدا وجهها بلون الطماطم وقلبها المتسارع دقاته، أحكمت

الحقيبة وعبأتها بالنقود في تسارع؛ كانت سيارات الشرطة محتشدة امام باب القصر مختار مُلقى أرضا غارقا في نومه.

آمر عساكره أن تتسللا داخل القصر وعساكر آخرين يحاوطن القصر من الخلف؛ مخططتهم الذي باء بالفشل كانت تفكر بالهروب لكن لن تلوذ بالفرار!- اقتحام العساكر القصر من داخل وسط مذبحة دموية دماء تسيل؛ ضبطها الجنود بالجرم المشهود. نجد هنا وليد مهران واقفا في نصف الغرفة ينظر إلى محمود الغريب طريح الموت؛ بينما الأطباء يعاينن دوافع القتل؛ اثنتان غارقان في دماءهم تبين الطب الشرعي قتل الجناة بعضهم- البصمات مكانها آثرها على السكين و المسدس؛ الاخر ملقى على الاريكة وأثر القتل يحمل أمراض نفسية؛ حملَ المسعفين الجناة إلى سيارة الاسعاف وغطى وجوههم . لكن اثنتان من النسوة تحت قبضة الشرطة وتحت رعاية القضاء! إن الجناة يموتون لدوافع أخرى!.

تمت بحمد الله

حسابات الكاتب الشخصية

- **Gmail:**

Abdalrhmann270@gmail.com

- **Facebook:**
- **/https://www.facebook.com/share/1CDk9mskGk**

- **Twitter:**
- **https://x.com/abdalrhmann270**

- **Instagram:**
- **https://www.instagram.com/abdulrhman270_?igsh=MzIzcmZpb2czeXRh**

- **TikTok**
- **Tiktok.com/@abdalrhman.nasar**

عن الكاتب

كاتب وصوت اذاعي شارك في عدة إصدارات مكتوبة من الخواطر والنصوص الابداعية. مؤلف مجموعة قصصية

« وحي الخيال »

من المنصورة مواليد ثلاثة وعشرون نوفمبر ألفان وواحد.

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023